

بارون دي جوميني

ترجمة

مركز نورس للدراسات

NORS

إهداء

إلى أمّتنا الإسلامية

إلى كل من يحمل السلاح دفاعاً عن قضيتنا

إلى كل حرٍّ، يرى في العسكرة سبيل الخلاص من الظلم

مقدمة المركز

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . .

يقول الله تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }

وعَن أبي أُمَامَةَ رضيَ اللهُ عنهَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلمَ قالَ: « فَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْنَاكًم »

يعاني العالم العربي والإسلامي من نقص شحيح في باب العلوم العسكرية التي يجب أن يمتلكها القادة العسكريون ليُديروا بها الحرب كلها لا المعارك فقط، وهذا النقص مردّه لغياب الفتوحات العسكرية عن عالمنا وانحراف المؤسسة العسكرية التي أصبحت موجهة لشعوبنا لا لعدوّها، إضافةً لتوقف حركة الترجمة العلمية للكتب التي تتناول هذا النقص، ويُسدّ بقراءتها وتَعلُّمِها هذا النقص.

وإننا في مركز نورس نقدم للقرّاء الأعزّاء هذا الكتاب الذي يُعتبر أحد أهم الأعمدة في هذا الباب لما له من تأثير في العسكرة وتاريخها. سائلين الله التوفيق والقبول.

تعريف بالكاتب

الجنرال البارون **أنطوان هنري جوميني *(1779-1869)*** ولد في بلدة بيرن في سويسرا لأب وأم إيطاليين. بعد إتمام دراسته في سويسرا انتقل الى باريس وعمل كاتباً لبنك مونسيس موسلمان. كانت انتصارات نابليون بونابرت في إيطاليا الدافع الرئيسي لترك عمله في التجارة والسمسرة والتحاقه بالجيش السويسري كنائب لقائد أحد المعسكرات. تدرّج جوميني في الجيش السويسري لخبرته الإدارية إلى أن أصبح مدير مكتب إداري في الجيش السويسري، فعمل فيه منظّماً لصفوف الجيش وكتائبه لمدة عامين. انتقل بعدها إلى باريس وعمل في أحد المصانع الحربية وبدأ بالكتابة في مبادئ الحرب وتاريخه مما استرعى انتباه الإمبراطور الفرنسي الذي عرض عليه منصباً في الجيش الفرنسي. قاتل جوميني مع جيش نابليون ضد البروس والنمساويين والإسبان تحت قيادة الجنرال ميشيل ناي وذلك من عام 1805 الى عام 1813، ونتيجة خلافه مع الضباط الفرنسيين الذين اغتاظوا من اهتمام نابليون به، فقاموا بشن حملة تشويه لسمعته، غادر على إثرها الجيش الفرنسي وانتقل للعمل مع الجيش الروسي كمستشار عسكري تحت قيادة ألكسندر الأول. عمل مع الروس على إيقاف تمدد نابليون في الشرق الأوربي، ثم أوقفه الروس عن مزاولة العمل العسكري الميداني قرب حدود الأراضي الفرنسية في عام 1826، وتم تكليفه بمهمة تنظيم الكلية العسكرية الروسية حيث يعتبر جوميني المؤسس والمنظم الحقيقي للكليّة العسكرية الروسية. استقال جوميني من الجيش الروسي في عام 1850 وانتقل للإقامة في مدينة بروكسل في بلجيكا. وفي عام 1854 استدعاه القيصر الروسي نيكولاس الأول لاستشارته في حربه على القرم. وفي عام 1859 استدعاه ملك فرنسا نابليون الثالث لاستشارته في حربه على إيطاليا.

يعتبر كتاب جوميني صاحب الفضل الأكبر في تأسيس المدرسة العسكرية الأمريكية الحديثة، حيث اعتمده الأمريكيون بشكل رئيسي في حربهم الأهلية عام 1861-1865 واعتُبر مذهباً عسكرياً استراتيجياً لهم.

تُوفي أنطوان هنري جوميني في عام 1869 في مكان إقامته في بروكسل ببلجيكا عن عمر 90 عام.

الفهرس

تعريفات فروع فن الحرب

الفصل الأول: علاقة الدبلوماسية [السياسة] بالحرب

الحروب الهجومية لاستعادة الحقوق

الحروب الدفاعية سياسةً والهجومية عسكرةً

الحروب النفعية

الحروب مع حلفاء أو من دون حلفاء

حروب التدخل

الغزو للسيطرة أو لأسباب أخرى

الحروب العقائدية

الحروب الوطنية [القومية]

الحروب الأهلية والدينية

الحروب المزدوجة وخطر خوض حربين في نفس الوقت

الفصل الثاني: السياسة العسكرية

الإحصائيات العسكرية والجغرافية العسكرية

الأسباب المختلفة التي تؤثر على الانتصار في الحرب

المعاهد العسكرية للدول

قيادة الجيوش والسيطرة العليا على العمليات

الروح العسكرية للأمم ومعنويات الجيوش

الفصل الثالث: الاستراتيجية

تعريف الاستراتيجية والتكتيك

المبدأ الأساسي في الحرب

نظام العمليات الهجومية أو الدفاعية

مسرح العمليات
قواعد العمليات
الخطوط والنقاط الاستراتيجية والنقاط الحاسمة لمسرح الحرب ونقاط الأهداف للعمليات
جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع والمواقع الاستراتيجية
مناطق وخطوط العمليات
الخطوط الاستراتيجية للمناورة
وسائل حماية خطوط العمليات بالقواعد المؤقتة أو بالاحتياط الاستراتيجي
الأنظمة القديمة والحديثة للحروب
مخازن التموين وعلاقتها بالعمليات
الجبهات [الحدود]، والدفاع عنها باستخدام الحصون والخطوط المحصنة – حروب الحصار
العلاقة بين المعسكرات المحصنة ورؤوس الجسور بالاستراتيجية
العمليات الاستراتيجية في المناطق الجبلية
الاجتياحات الكبرى والحملات البعيدة
خلاصة الاستراتيجية

الفصل الرابع: التكتيكات الكبرى والمعارك

المواضع والمعارك الدفاعية
المعارك الهجومية وأوامر المعركة
المناورات الالتفافية والحركة الممتدة كثيراً في المعركة
التقاء غير متوقع لجيشين أثناء التقدم
مباغتات الجيوش
الهجوم على المدن والمعسكرات المطوقة بالخنادق والخنادق والضربات الخاطفة السريعة بشكل عام

الفصل الخامس: عدة عمليات ذات خصائص مختلطة (جزء منها استراتيجية والجزء الأخر تكتيكي)

المفارز التضليلية والكبيرة

عبور الأنهار والمجاري الأخرى

الانسحابات والمطاردات

المخيمات (المعسكرات) وفصل الشتاء

النزول أو الحملات البحرية

الفصل السادس: اللوجستيات أو فن تحريك الجيوش

عدة ملاحظات عامة على اللوجستيات

الاستطلاع ووسائل الحصول على معلومات دقيقة عن تحركات العدو

الفصل السابع: تشكيل وتوظيف القطاعات للمعركة

تمركز القوات في خط (ساحة) المعركة

تشكيل وتوظيف المشاة

تشكيل وتوظيف الفرسان

تشكيل وتوظيف المدفعية

توظيف الأسلحة الثلاث

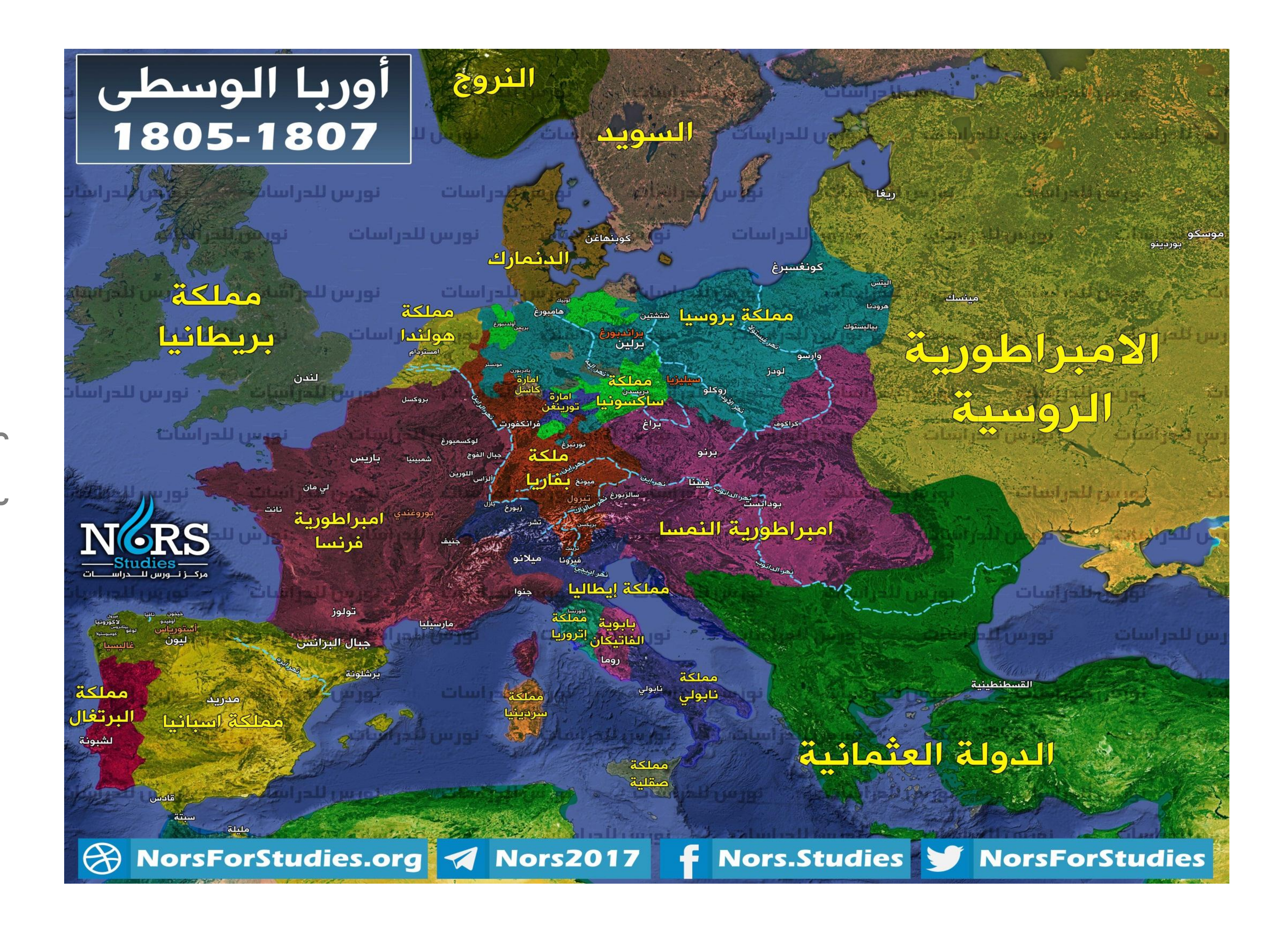
الاستنتاج

إضافة

الملحق الأول

الملحق الثاني

مخطط قواعد عمل الحملات البحرية



أوربا الوسطى
1805-1807
النروج
السويد
الدنمارك
كوبنهاغن
ريغا
موسكو
بورودينو
كونغسبرغ
مينسك
مملكة بريطانيا
لندن
مملكة هولندا
امستردام
هامبورغ
مملكة بروسيا
شتشتين
براندبورغ
برلين
وارسو
لودز
الامبراطورية الروسية
مملكة ساكسونيا
سيليزيا
روكلو
امارة كاسل
امارة تورينغن
فرانكفورت
براغ
كراكوف
بروكسل
باريس
لي مان
نانت
امبراطورية فرنسا
بوروغندي
لوكسمبورغ
ملكة بقاريا
ميونخ
برنو
فيينا
بودابست
سالزبورغ
تيرول
زيورخ
جنيف
ميلانو
امبراطورية النمسا
مملكة إيطاليا
جنوا
تولوز
مارسيليا
جبال البرانس
برشلونة
مدريد
مملكة اسبانيا
مملكة البرتغال
لشبونة
غاليسيا
أستورياس
ليون
قادس
سبتة
مليلة
مملكة سردينيا
مملكة إتروريا
بابوية الفاتيكان
روما
مملكة نابولي
نابولي
مملكة صقلية
القسطنطينية
الدولة العثمانية
NORS Studies
مركز نورس للدراسات
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies

خلاصة فن الحرب

تعريف فن الحرب

يتألف فن الحرب بشكل عام من خمسة علوم عسكرية بحتة، وهي كالتالي: (الاستراتيجية، والتكتيكات الكبرى واللوجستيات والهندسة والتكتيكات).

سادس هذه العلوم (لم يتم الاعتراف بها حتى هذا اليوم كأحد علوم الحرب) هي الدبلوماسية وعلاقتها بالحرب. وعلى الرغم من أن هذا العلم أكثر ارتباطاً برجل الدولة [سياسي] مقارنة بالجنود، إلا أنه لا يمكن إنكار أهميتها لجميع قادة الجيوش إذا ما استثنينا الضباط المرؤوسين، فالسياسة تدخل في جميع التحضيرات المؤدية إلى الحرب، ولها ارتباط بمختلف العمليات التي تنفذ خلال الحرب، ومن هذا المنطلق يجب أن يكون للسياسة مكان في هذا الكتاب.

خلاصة: إن فن الحرب يتألف من ستة أجزاء متباينة وهي:

١. علاقة تدبير أمور الدولة [الحكم] بفن الحرب.
٢. الاستراتيجية أو بعبارة أخرى فن تحريك الأجزاء الكبيرة من الجيوش على مسرح الحرب بشكل صحيح إما للدفاع أو الغزو.
٣. التكتيكات الكبرى.
٤. اللوجستيات أو فن تحريك الجيوش.
٥. الهندسة وتعني كيفية الهجوم على التحصينات وكيفية الدفاع عنها.
٦. التكتيكات الصغرى.

ويجب تحليل المزيج الأساسي من هذه العلوم الأربعة الأولى، وذلك بغض النظر عن التكتيكات وفن الهندسة. وأيضا من الواجب معرفة جميع أجزاء فن الحرب من قبل الجنرالات أو ضباط الأركان، إلا أن هذه المعرفة ليست ضرورية لرفع كفاءة ضباط المشاة أو الفرسان أو المدفعية.

الفصل الأول

علاقة تدبير أمور الدولة [الحكم] بالحرب

في هذا الفصل نظريات يستنبط منها رجل الدولة [السياسي] فيما إذا كانت الحرب مناسبة أو ضرورية أو واجبة، ويحدد من خلالها مختلف العمليات الضرورية لكسب الهدف من الحرب.

تخوض الدولة حرباً لعدة أسباب ومنها:

١. لاستعادة حقوق معينة أو للدفاع عنها
٢. للحفاظ أو لحماية المصالح الكبرى للدولة كالاقتصاد أو الصناعة أو التجارة
٣. لحماية الدول المجاورة التي وجودها ضروري للحفاظ على أمن الدولة أو توازن القوى
٤. للوفاء بالعهود التي تتعلق بالتحالفات الدفاعية والهجومية
٥. لنشر النظريات [المعتقدات] السياسية أو الدينية أو القضاء عليها أو حمايتها
٦. لزيادة تأثير وقوة الدولة بالسيطرة على أراضي جديدة
٧. للدفاع عن استقلالية الدولة في حال تعرضها للتهديد
٨. للانتقام لشرف الدولة المهان
٩. بسبب جنون الفتوحات (نشوة النصر)

يجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع المختلفة من الحروب تؤثر إلى حد ما على طبيعة ومدى الجهود والعمليات الضرورية لتحقيق النتيجة المطلوبة، فالطرف الذي يشعل الصراع قد يتحول إلى الدفاع، والطرف الذي تعرض للهجوم قد يتحول هو إلى الهجوم.

قد توجد ظروف أخرى تؤثر على طبيعة ومجريات الحرب مثل:

١. دولة تشن حرباً على دولة أخرى.
٢. دولة تشن حرباً على عدة دول متحالفة فيما بينها.
٣. عدة دول متحالفة تشن حرباً على دولة واحدة.

٤. الدولة المشاركة في الحرب قد تكون طرفاً أساسياً في الحرب أو طرف مساعد لأحد أطراف الحرب الأساسيين.
٥. في الحالة الأخيرة قد تدخل دولة في الصراع منذ البداية أو بعد نشوب الحرب.
٦. قد يكون مسرح الحرب التي تخوضها الدولة أرض عدوها أو أرض دولة حليفة لها أو أرضها.
٧. إذا كانت الحرب غزواً فقد تكون على أرض قريبة أو بعيدة، وقد تكون متأنية وحذرة أو متسرعة ومُغَامِرَة.
٨. قد تكون الحرب حربا وطنية [قومية] إما ضد أنفسنا أو ضد العدو.[١]
٩. قد تكون الحرب حرباً أهلية أو دينية.

يجب شن الحرب دائماً وفقاً للمبادئ الكبرى[٢] لهذا الفن، مع توخي الحذر الشديد في طبيعة العمليات المراد تنفيذها، والتي تعتمد على ظروف كل حالة.

على سبيل المثال: ٢٠٠٠٠٠ جندي فرنسي يسعون لإخضاع الشعب الإسباني المتوحد خلف رجل واحد ضدهم، هؤلاء الجنود الفرنسيون لن تكون مناورتهم مشابهة لمناورة نفس العدد من الجنود إذا كانوا يتقدمون نحو فيينا أو مدينة أخرى بغرض إحلال السلام، أيضا لن تكون مناورة الجيش الفرنسي الذي يقاتل العصابات التابعة للجنرال مينا[٣] كمناورة الجيش الذي يقاتل الروس في بورودينو[٤]، ولا يستطيع الجيش الفرنسي أن يغامر بالتقدم نحو فيينا دون النظر لموقف الحكومات والشعوب الواقعة بين الراين والإن[٥]، وبين الدانوب ونهر إلبه[٦]. ويجب أن تقاتل الأفواج جميعها بنفس الطريقة، أما القادة والجنرالات فتحكمهم الظروف والأحداث.

---

[١] توضيح: كثورة ضد دكتاتور (أنفسنا) أو محتل (عدو خارجي)
[٢] يقصد الكاتب المبادئ الستة التي تكلم عنها في المقدمة
[٣] مينا: فرانسيسكو إسبوز إلوندين (١٧ يونيو ١٧٨١ - ٢٤ ديسمبر ١٨٣٦)، المعروف باسم فرانسيسكو إسبوز ي مينا، كان زعيم العصابات الإسبانية التي قاتلت الغزو الفرنسي لأسبانيا الذي قاده نابليون عام ١٨٠٧-١٨١٤.
[٤] بورودينو: بلدة تقع غرب روسيا ، حدثت فيها معركة بين الجيش الفرنسي بقيادة نابليون وبين الروس بقيادة ميخائيل كوتوزف في السابع من سبتمبر عام ١٨١٢ انتصر فيها الفرنسيون.
[٥] الإن: نهر ينبع من جبال الألب ويصب في الدانوب ويمر بسويسرا والنمسا وألمانيا بطول ٥١٧ كم
[٦] نهر إلبه من أهم أنهار أوروبا الوسطى، ينبع من جبال الكارابات في جمهورية التشيك ويخترق التشيك وألمانيا قبل أن يصب قرب مدينة هامبورغ في بحر الشمال بطول كلي ١،٠٩٤ كم.

هذه الإعدادات التي ذكرناها تنتمي معظمها لموضوع تدبير الحكم [الدولة] بشكل أو بآخر، مع العلم أنه من الممكن إضافة أمور أخرى متعلقة فقط بإدارة الجيوش لتشكل مجتمعةً "السياسة العسكرية". هذه السياسة العسكرية لا تنحصر فقط في الدبلوماسية [السياسة] ولا في الاستراتيجية، وإنما هي أيضاً ذات أهمية كبيرة لكل من رجل الدولة [السياسي] والجنرال.

الموضوع الأول: الحروب الهجومية لاستعادة الحقوق

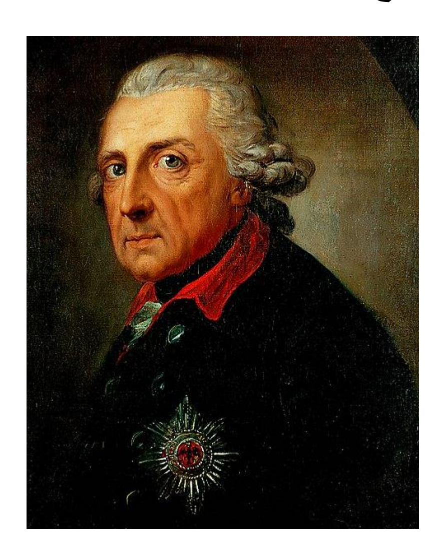
عندما تكون لدولة مطالب لدى دولة أخرى، فقد لا يكون من الأفضل فرضها بقوة السلاح. ومن الواجب النظر للمصلحة العامة قبل القيام بأي اجراءات. الحرب العادلة هي التي تكون للمطالبة بحقوق لا جدال فيها، إضافة لذلك يجب أن تكون نتيجة الحرب عائدة بفوائد متناسبة مع التضحيات المطلوبة والمخاطر المتوقعة. ومع الأسف فإن الكثير من الحروب تحدث للمطالبة بحقوق مزعومة ومتنازع عليها، على الرغم من أنها في الظاهر قائمة على المطالبة بإرث أو زواج أو وصية، إلا أنها في الواقع حروبٌ نفعية. وأبرز مثال على ذلك هو قضية خلافة التاج الإسباني تحت حكم الملك لويس الرابع عشر[٧]، فقد طالب لويس الرابع عشر بوراثة العرش، وبدا أن الأمر حُسمَ بوصية رسمية وكان مدعوماً بالروابط العائلية وبتأييد شعبي لوراثة لويس الرابع عشر للعرش، إلا أن الأمر كان مرفوضاً من غالبية أوروبا، مما تسبب بتشكيل تحالف أوربي عام ضد الوريث الشرعي.



لويس الرابع عشر

[٧] لويس الرابع عشر ملك فرنسا منذ ١٤ أيار ١٦٤٣م حتى وفاته. لحسابات سياسية تزوج "ماري تيريز" "Marie-Thérèse" الإسبانية، وأنجبت له ستة أطفال، غداة موت ملك إسبانيا فيليب الرابع، ومطالبة لويس الرابع عشر بحق زوجته - ابنة الملك فيليب - بوراثة إسبانيا، شن الحرب على إسبانيا واستولى على حصون إسبانيا وقلاعها، فتصدى له حلف بريطاني -هولندي- سويدي اضطره إلى التفاوض معه وتوقيع صلح "إكس لاشابل" "Aix-la-Chapelle"، سميت هذه الحرب بحرب الأيلولة أو الوراثة واستمرت من ١٧٠١ حتى ١٧١٤.

أثناء الحرب بين النمسا وفرنسا، وجد فريدريك الثاني[٨] الوقت مناسب للتذرع بمعاهدة قديمة، فاحتل محافظة سيليزيا[٩]، مما زاد في قوة بروسيا. كان احتلاله لسيليزيا ضربة موفقة ؛ ذلك لأنه في حال فشله لا يمكن إدانته بهذا الاحتلال. كان لعظمة وأهمية الطموح الذي سعى إليه فريدريك الثاني مبرراً لحربه مع النمسا.



فردريك الثاني

لا يمكن وضع قواعد ثابتة لمثل هذه الحروب. لكن يمكنني القول بأن المراقبة والاستفادة من كل ظرف هي القاعدة التي يجب أن يُعمل بها في الحروب. يجب أن يكون هجوم دولة ما على دولة أخرى يتناسب مع النتيجة المراد تحقيقها. الخطوة الأكثر فطرية هي احتلال أراضٍ متنازع عليها، وبعدها تُنفّذ العمليات الهجومية وفقاً للظروف وتبعاً لقوة كل طرف، والغرض من ذلك تأمين مصير الأرض المسيطر عليها حديثاً من العدو، وتأمين وسائل لتهديد العدو في أراضيه. كل شيء يعتمد على تحالفات الأطراف، فمن الممكن تأمين الموارد العسكرية من دول أخرى. أثناء الهجوم يجب توخي الحذر من استفزاز أي دولة أخرى مما يساعد العدو الرئيسي، وهذا جزء من مهمة رجل الدولة [السياسي]، وتجنب ذلك يكون من خلال تقديم تفسير مناسب وضمانات مناسبة للدول الأخرى.

---

[٨] فريدريك الثاني: فريدرش الثاني أو فريدريك ملك بروسيا (١٧٦٨-١٧٤٠). اشتهر بدهاءه في الحملات العسكرية وفي تنظيم الجيوش البروسية. كانت عملية دخوله لسيليزيا ضمن حرب الخلافة النمساوية (١٧٤٨-١٧٤٠) بحجة معاهدة قديمة تعود لعام ١٥٣٧ ورفضه لحكم إمرأة للنمسا وكان الغرض من احتلال سيليزيا الاستفادة من مكانتها الاقتصادية لتقوية دولته.

[٩] سيليزيا: مقاطعة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من بولندا الحالية وكانت جزء من النمسا.

الموضوع الثاني: الحروب الدفاعية سياسةً والهجومية من المنظور العسكري

نادراً ما تحصل دولة ما على حقوقها المنصوص عليها في معاهدة قديمة مع دولة أخرى دون نشوب حرب، وتفضل الأخيرة الدفاع عن مناطقها باعتباره الخيار الأكثر شرفاً. إلا أنه من الأفضل أخذ المبادرة بالهجوم، بدلاً من انتظار الهجوم على أراضيها.

توجد مزايا عادة لصالح المهاجم في حال كانت الحرب على أرض العدو، وكذلك هناك مزايا للدولة التي تكون الحرب على أراضيها. فإذا كانت الدولة المهاجمة لديها قوة عسكرية جيدة مع وجود استقرار داخلي، إضافة لضمانها عدم تدخل طرف ثالث لصالح الطرف المدافع، فستكون الفائدة كبيرة من خوض المعركة على أرض العدو. هذا الأمر سيحمي أراضي الدولة من التخريب، وتكبد العدو التكاليف وترفع معنويات جنود الدولة وبالمقابل تنخفض معنويات جنود العدو.

أما في المقابل وبالمنظور العسكري الصرف فإن الدولة التي تقاتل على أرضها تمتلك مزايا عظيمة، لمعرفتها بجميع المعالم الطبيعية والصناعية على أرضها، فتكون تحركاتها مدعومة بمعرفة البلاد، إضافة لتأييد المدنيين ومؤسسات السلطة.

هذه الحقائق الواضحة لها تطبيقات في جميع توصيفات الحروب ؛ فإذا كانت المبادئ الاستراتيجية ثابتة فإن السياسة المتعلقة بالحرب متغيرة، وذلك تبعاً للرأي العام ودول الجوار والشخصيات السياسية وقادة الجيوش. حقيقة هذه التغيّرات تدل على أن الحرب لا تعرف قواعد معينة. تستند العلوم العسكرية على قواعد لا يمكن كسرها جزافاً بوجود عدو نشط وماهر، بينما الجانب السياسي والمعنوي [الفكري] يمثل الجانب المتغير. توضع خطط العمليات كما تتطلب الظروف، ولتنفيذ هذه الخطط يجب الفهم والعمل وفقاً للمبادئ الأساسية للحرب.

على سبيل المثال: فإن خطة الحرب ضد النمسا أو فرنسا أو روسيا ستختلف بشكل كبير عن خطة الحرب ضد حشود الأتراك الشجعان لكن الغير منضبطة، حيث تفتقر إلى النظام والقدرة على المناورة ولا تستطيع الثبات والصمود تحت الضربات.

الموضوع الثالث: الحروب النفعية

لقد كان غزو سيليزيا من قبل فريدريك الثاني، وحرب الخلافة الاسبانية[١٠] حروباً نفعية. وهناك نوعين للحروب النفعية:

١. حين تبادر الدولة القوية بالاستيلاء على الحدود الطبيعية لدولة أخرى لأسباب تجارية أو سياسية
٢. بغرض التخفيف من قوة منافس خطير أو لمنع توسعه.

هذه الأخيرة هي حروب التدخل، ومن النادر أن تبادر الدولة منفردة بالهجوم على منافس خطير، بل ستحاول تشكيل حلف لهذا الغرض. تتدرج هذه الأمور في الحكم أو الدبلوماسية [السياسة] أكثر من دخولها في الحرب.

الموضوع الرابع: الحروب مع الحلفاء أو دون حلفاء

إن الحرب مع حليف هو أمر مرغوب فيه بالطبع، وعلى الرغم أن الدولة العظيمة قادرة على التغلب على دولتين ضعيفتين متحالفتين، إلا أن التحالف يبقى خياراً أفضل من التفرق. لا يقتصر عمل الحليف على إرسال قوات دعم متفق عليها لحليفه، بل أيضاً يشكل تهديداً لجزء من حدود العدو التي كانت آمنة لولا هذا التحالف. على مر التاريخ لا يوجد عدو مهما كان ضعيفاً بحيث يمكن تجاهله أو احتقاره من قبل أي قوة مهما كانت عظيمة.

الموضوع الخامس: حروب التدخل

من الواضح أن التدخل في صراع بدأ للتو له مزايا أكثر بكثير من خوض حرب تحت أي ظرف أخر. فالدولة التي تتدخل تلقي بكامل قوتها وتأثيرها لصالح أحد طرفي الصراع بعد تقديرها لمآل الحرب، ويكون تدخلها في اللحظة الأمثل وبالاستعانة بمواردها بالشكل الأنسب.

[١٠] حرب الخلافة الإسبانية أشرنا إليها سابقا في هامش التعريف بلويس الرابع عشر، وهي حرب نشبت في (1714 -1701) وتضمنت أيضا حرب الملكة آن في أمريكا الشمالية كانت حرب الخلافة الإسبانية صراعاً أوروبياً كبيراً بدأت بوادره بالظهور عام 1701 مع موت الملك الإسباني كارلوس الثاني وهو آخر ملوك سلالة هابسبورغ، كان كارلوس قد أورث كامل مملكته لفيليب دوق أنجو، وهو حفيد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر فأصبح ملك إسبانيا باسم فيليب الخامس.

<u>هناك نوعين من التدخل:</u>

١. التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو المجاورة
٢. التدخل في العلاقات الخارجية للدول الأخرى أو المجاورة

يتعارض النوع الأول من التدخل مع الجانب الأخلاقي، ومع ذلك يتكرر مراراً. اكتسب الرومان قوة كبيرة لتدخلهم في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وأيضاً كان لشركة الهند الشرقية[١١] نفوذ كبير بفضل هذه التدخلات. لا تنجح هذه التدخلات دائماً ؛ فعلى سبيل المثال: اكتسبت روسيا القوة بفضل هذه التدخلات في بولندا والنمسا، إلا أنها كادت أن تدمر نفسها لتدخلها في الشؤون الداخلية في فرنسا خلال الثورة الفرنسية. ويعتبر التدخل في الشؤون الخارجية للدول أكثر قانونية [شرعية]، وقد تعود بفوائد أفضل من التدخل الداخلي ؛ ذلك لأن التدخل في الشؤون الداخلية للدول يكون مشكوكاً في أحقيته، ومن المؤكد أنه يحق لأي دولة معارضة سياسة دولة أخرى بسبب نشرها الفوضى في المنطقة.

هناك أسباب طارئة للتدخل في الحروب الخارجية:

١. عملاً باتفاقية تلزم تقديم المساعدة لطرف يخوض حرباً مع دولة أخرى
٢. الحفاظ على التوازن السياسي
٣. لتجنب عواقب مضرة لحرب بدأت للتو
٤. لتأمين فوائد معينة لا يمكن الحصول عليها بطريقة أخرى

[١١] شركة الهند الشرقية: وكذلك سميت بشركة جون، هي شركة تشكلت في البدء لمزاولة التجارة مع جزر الهند الشرقية، ولكن انتهى بها الأمر بالمتاجرة مع شبه القارة الهندية والصين .وكانت الأقدم بين العديد من شركات الهند الشرقية الأوروبية ذوات الأسماء المشابهة، وقد حصلت الشركة على تفويض ملكي إنجليزي، تحت اسم حاكم وشركة تجار لندن المتاجرين في جزر الهند الشرقية وبعد أن تحدت شركة إنجليزية منافسة الاحتكار في نهاية القرن السابع عشر، اندمجت الشركتان في ١٧٠٨ ليشكلا الشركة المتحدة لتجار إنجلترا المتاجرين في جزر الهند الشرقية التي اشتهرت باسم شركة الهند الشرقية المحترمة. كانت إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا قد أصدرت مرسوماً بإنشائها في 31ديسمبر 1600 مانحة لها سلطات احتكارية على تجارة الهند وجميع مستعمراتها في جنوب شرق آسيا لمدة ٢١ عاماً. وذلك بأن تنفرد هذه الشركة بتولي جميع المعاملات التجارية. وبهذا تحولت هذه الشركة من مشروع تجاري إلى مؤسسة تحكم جميع الولايات الهندية وجميع مستعمرات التاج البريطاني في المنطقة وذلك بدعم سياسي وعسكري من بريطانيا. استمر ذلك حتى تم حلْ الشركة إثر اندلاع التمرد، والعصيان المدني في الهند عام 1858.

التاريخ حافل بأمثلة لقوى سقطت وانهارت لإهمالها هذه المبادئ، "حيث تبدأ الدولة بالانحطاط عندما تسمح للأعداء والقوى الثانوية بالتوسع المفرط، حتى تصبح هذه القوى الثانوية قادرة على تغيير المعادلة إذا ألقت بثقلها في الوقت المناسب".

يُعد الظهور المفاجئ لجيش قوي وكبير كطرف ثالث في حرب شديدة التنافس أمراً حاسماً من الناحية العسكرية. الكثير من هذه الحالات تعتمد على الموقع الجغرافي فيما يخص الجيوش الموجودة أصلاً في الميدان. على سبيل المثال: في شتاء عام ١٨٠٧، عبر نابليون نهر فيستولا[١٢] وجازف بالوصول لأسوار كونغسبورغ[١٣] جاعلاً النمسا خلفه وروسيا من أمامه. لو أرسلت النمسا جيشها في ذلك الوقت (الذي كان مؤلفاً من مئة ألف جندي) من بوهيميا[١٤] باتجاه نهر أودر[١٥]، فمن المحتمل له أن يقضي على جيش نابليون، كانت هناك الكثير من الأسباب التي تدعو للاعتقاد أنه لن يستطيع استرجاع نهر الراين. بدلاً من ذلك فضلت النمسا الانتظار بهدف تجهيز أربعمائة ألف جندي. وبعد سنتين دخل جيش النمسا المعركة وتعرض للهزيمة ؛ بينما كان من الممكن لمئة ألف جندي مجهزون بشكل جيد، أن يحددوا مصير أوربا في حال دخولهم المعركة في الوقت المناسب[١٦].



نابليون الأول إمبراطور فرنسا

[١٢] نهر فيستولا: أطول نهر في بولندا طوله ١٠٤٧ كم ينبع من جبال كارباثيان في جنوبي بولندا ثم يتخذ مجرى دائريا نحو الشمال ثم يشق مدينة وارسو ثم يصب من خلال عدة فروع في بحر البلطيق

[١٣] كونغسبرغ: كونغسبرغ هي التسمية التاريخية لمدينة كالينينغراد (حالياً تنتمي لروسيا) وتقع على بحر البلطيق وحين كان يحاصرها نابليون كانت العاصمة المؤقتة لبروسيا بعد سقوط برلين.

[١٤] بوهيميا: منطقة تاريخية في أوروبا الوسطى. تحتل الأجزاء الغربية ومعظم الأجزاء الوسطى من جمهورية التشيك حالياً. وكانت في ذلك الوقت جزء من الإمبراطورية النمساوية.

[١٥] أودر: نهر الأودر هو نهر يبلغ طوله ٨٦٦ كلم، يقع في وسط أوروبا بين بولندا وألمانيا. ويصب نهر الأودر في بحر البلطيق عن طريق بحيرة ستاتين.

[١٦] كانت تلك الحرب هي حرب التحالف الرابعة وهو صراع عسكري دام بين عامي ١٨٠٦ - ١٨٠٧ في أوروبا الغربية بدأ عندما تم تشكيل تحالف أوروبي للهجوم على إمبراطورية فرنسا في عهد نابليون بواسطة روسيا وبروسيا وساكسونيا وبريطانيا العظمى. توجه نابليون نحو كونغسبرغ جاء بعد احتلال فرنسا لبولندا نهاية عام ١٨٠٦. إثر تفويت هذه الفرصة في القضاء على نابليون تعرضت النمسا لهزيمة من فرنسا عام ١٨٠٩ في حرب التحالف الخامسة.

هناك عدة أنواع من الحروب ناتجة عن هذين النوعين من التدخلات:

١. التدخل بشكل الثانوي، وبقوة محددة منصوص عليها بمعاهدات مسبقة.
٢. التدخل لدعم دولة ضعيفة مجاورة لحماية أرضها، وفي هذه الحال يتم نقل المعركة إلى دولة أخرى
٣. تتدخل الدولة كطرف أساسي في الحرب إذا كان مسرح الحرب قريب منها، مما يؤدي إلى احتمال نشوء تحالف من عدة قوى ضد دولة واحدة.
٤. تتدخل الدولة في صراع كان قد بدأ أو قبل أن يبدأ.

عندما تتدخل دولة بقوة صغيرة فقط تطبيقاً لشروط معاهدة، فإن هذا التدخل مجرد تدخل شكلي، وليس له صدى كبير في مجرى العمليات الرئيسية، أما إذا كان التدخل كطرف أساسي وبقوة عظيمة فإن هذه الحالة مختلفة تماماً.

تتباين الفرص العسكرية في مثل هذه الحروب. كان للجيش الروسي دورا ثانوياً في الصراع بين النمسا وفرنسا خلال حرب السبع سنوات[١٧]، ومع ذلك لعبت دوراً رئيسياً في الشمال إلى أن احتلت بروسيا. لكن عندما قاد الجنرالين فيرمور[١٨] وسالتيكوف[١٩] الجيش حتى وصلوا إلى براندنبورغ[٢٠]، كان عملهم هذا لصالح النمسا فقط، وكان مصير هذه القوات البعيدة عن قواعدها يعتمد على حسن أو سوء مناورة حلفائها[٢١]. رحلة طويلة كهذه تعتبر خطرة وعملياتها معقدة بشكل عام، حيث أظهرت حملات عام ١٧٩٩ و١٨٠٥ نماذج حزينة لما تؤول إليه مثل هذه الرحلات، وسنشير إليها في الموضوع ٢٩ للمناقشة في الجانب العسكري لمثل هذه الحملات.

[١٧] حرب السنوات السبع ويطلق عليها أيضاً الحرب البومرانية هي حرب جرت بين عام ١٧٥٦ م وعام ١٧٦٣ م. وقد شاركت فيها بريطانيا وبروسيا ودولة هانوفر ضد كل من فرنسا والنمسا وروسيا والسويد وسكسونيا. وكانت روسيا حين ذلك في عهد الملكة إليزابيث تدعم النمسا وفرنسا ضد بروسيا وبريطانيا.
[١٨] ويليام فيرمور: ضابط في الجيش الإمبراطوري الروسي، اشتهر بقيادة جيش بلاده في معركة زورندورف خلال حرب السبع سنوات.
[١٩] بيوتر سيميونوفيتش سالتيكوف كان سياسياً روسياً وضابطاً عسكرياً، وترقى إلى رتبة مشير في ١٨ أغسطس ١٧٥٩.
[٢٠] براندنبورغ: الأن هي محافظة ألمانية وسابقاً كانت ضمن بروسيا
[٢١] كان فيرمور قد تولى قيادة الجيش الروسي في غزو بروسيا حتى توجهه نحو برودنبيرغ حيث تولى محله سالتيكوف وأصبح تحت قيادته ومن ثم تمكن سالتيكوف من دحر الجيش البروسي، كان موقف الجيش الروسي حرجاً لولا إمدادات حلفائهم النمساويين.

يؤدي ذلك لتعرض الجيش للمخاطر بسبب التدخل في مناطق بعيدة. ويوجد ميزة في المقابل وهي حماية البلاد من أي هجوم، وذلك لبعد الحرب عن أراضي الدولة، فما هو معاناة بالنسبة للجنرال قد يكون في نفس الوقت ميزة ايجابية بالنسبة للدولة.

من الأمور الأساسية والمفضلة في مثل هذه الحروب أن يتمتع الجنرال العسكري بفكر سياسي، ويضع شروطاً واضحة مع الحلفاء فيما يخص دور كل طرف في العمليات الرئيسية، وكذلك من أجل الاتفاق على أهداف متوافقة مع المصالح المشتركة. بإهمال هذه الاحتياطات فشلت الكثير من التحالفات، أو بقيت في صراع شديد مع قوى أكثر اتحاداً، رغم ضعفها مقارنة بالحلفاء.

النوع الثالث من أنواع التدخل يكون بتدخل الدولة بكل قوتها، وبالقرب من حدودها، وهذا النوع من التدخل يعود على الدولة المتدخلة بمنافع كبيرة أكثر من المنافع في بقية أنواع التدخل. كان للنمسا فرصة من هذا النوع في عام ١٨٠٧[٢٢]، إلا أنها فشلت في الاستفادة من هذه الفرصة. وفي عام ١٨١٣ حصلت النمسا على فرصة أخرى حيث كان قد جمع نابليون قواته في سكسونيا ناقلاً جبهة العمليات بالاتجاه المعاكس. قام الجيش النمساوي الذي كان على ثقة تامة من النصر بالهجوم بقوات مؤلفة من مئتي ألف جندي على جيش نابليون، واستعادت النمسا خلال شهرين من المعارك[٢٣] امبراطورية إيطالية ونفوذها في ألمانيا التي كانت قد خسرته خلال الخمسة عشرة سنة الفائتة إثر الكارثة. في هذا التدخل لم تكن الفرص العسكرية لصالحها فقط بل حتى الفرص السياسية، مما أدى إلى أثر مضاعف وزيادة كبيرة في المنافع[٢٤].

من المؤكد أن انتصار النمسا كان نتيجة لقرب مسرح العمليات من حدودها، مما سمح بأكبر قدر من إظهار القوة، وكذلك لأن النمسا دخلت في صراع جارٍ كان قد بدأ قبل دخولها فيه،

[٢٢] وذلك في حرب التحالف الرابعة

[٢٣] هذه المعركة هي معركة درسدن التي وقعت في ٢٦ و٢٧ أغسطس عام ١٨١٣ ولم يُكتَب للنمسا النصر فيها، إلا أنها انتصرت على نابليون في معركة الأمم أو لايبزغ بعدها بشهرين

[٢٤] حرب التحالف السادسة (مارس ١٨١٣ - مايو ١٨١٤)، والمعروفة في ألمانيا بحرب التحرير، وهي تحالف بين النمسا وبروسيا وروسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والسويد وإسبانيا وعدد من الدول الألمانية التي هزمت فرنسا أخيراً وقادت نابليون إلى منفاه في الألبه. بعد الغزو الفرنسي الكارثي لروسيا عام ١٨١٢، انضمت القوى الأوروبية إلى روسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والمتمردين في إسبانيا الذين كانوا في حالة حرب مع فرنسا

وأيضاً من أسباب انتصار النمسا هو دخولها في الصراع بكامل مواردها وفي الوقت الأنسب لها.

هذه الميزة المزدوجة كانت أمراً حاسماً بالنسبة للملكيات القوية وحتى الصغيرة منها، حيث مكّنتها من الحصول على نفوذ مؤثر نتيجة استغلال هذه الميزة.

مثالان يرسخان هذا المفهوم:

المثال الأول كان في عام ١٥٥٢ أعلن ناخب سكسونيا موريس[٢٥] وبكل جرأة الحرب على شارلكان (كارلوس) الخامس[٢٦] ملك إسبانيا وإمبراطور[٢٧] ألمانيا وإيطاليا، والذي كان قد انتصر على فرانسوا الأول[٢٨] وأحكم قبضته على فرنسا. مما أدى إلى نقل الحرب إلى مقاطعة تيرول[٢٩] النمساوية وأوقفت مسيرة هذا الفاتح العظيم.

المثال الثاني كان في عام ١٧٠٦ حيث أعلن دوق سافوا فيتوريو أميديو الثاني[٣٠] الحرب على لويس الرابع عشر، مما أدى إلى تغير الأوضاع في إيطاليا، وكانت النتيجة تراجع الجيش الفرنسي من ضفاف نهر أديجي[٣١] إلى أسوار تورينو، حيث واجهت الكارثة الكبرى التي خلدت الأمير يوجين[٣٢]. [٣٣]

لقد شرحنا بما فيه كفاية لتوضيح أهمية وتأثير مثل هذه التدخلات الانتهازية، ويجب وضع المزيد من التوضيحات، لكنها لن تساعد في زيادة قناعة القارئ.

---

[٢٥] موريس (٢١ مارس ١٥٢١ - ٩ يوليو ١٥٥٣) كان دوق (١٥٤٧-١٥٤١)؛ ثم بعدها ناخب (١٥٥٣-١٥٤٧) لـ ساكسونيا

[٢٦] شارلكان أو كارلوس الخامس هابسبورغ (٢٤ فبراير ١٥٠٠ - ٢١ سبتمبر ١٥٥٨) ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

[٢٧] إمبراطور ألمانيا وإيطاليا: كانت ألمانيا وإيطاليا موحدة وتسمى المملكة الرومانية المقدسة للأمة الجرمانية

[٢٨] فرنسوا الأول عاش (كونياك ١٤٩٤م - رامبوييه ١٥٤٧م) وهو ملك فرنسا (١٥١٥ - ١٥٤٧م). وكان عدواً لدوداً لشارلكان ملك اسبانيا.

[٢٩] حالياً مقاطعة نمساوية تقع في الجهة الغربي منها.

[٣٠] فيتوريو أميديو الثاني فرانشيسكو دي سفويا الملقب ثعلب سفويا (تورينو، ١٤ مايو ١٦٦٦ - مونكالييري، ٣١ أكتوبر ١٧٣٢) وكان أيضاً ملك صقلية بين عامي ١٧١٣ و١٧٢٠ عندما أصبح ملك سردينيا.

[٣١] نهر أديجي نهر في شمال إيطاليا ينبع من مقاطعة بولزانو بالقرب من الحدود الإيطالية النمساوية ويصب في البحر الأدرياتيكي وهو ثاني أطول نهر في إيطاليا بعد نهر بو.

[٣٢] الأمير يوجين من سافوي (١٨ من تشرين الأول ١٦٦٣م – ٢١ من نيسان ١٧٣٦م)، هو أحد أكثر القادة العسكريين نجاحاً في تاريخ أوروبا، مما جعله يتقلد أعلى مناصب البلاد في البلاط الإمبراطوري في فيينا.

[٣٣] حصار تورينو : وقع حصار تورينو في أيار/مايو ١٧٠٦ خلال حرب الخلافة الإسبانية، عندما هاجم ما يقرب من ٤٤،٠٠٠ جندي فرنسي-إسباني قلعة تورينو والتي كان يحميها حوالي ١٠،٥٠٠ جندي من سافوي، والذين دافعوا عنها ببسالة حتى ٧ سبتمبر تحت قيادة الأمير يوجين والدوق فيتوريو أميديو الثاني حتى أجبروا العدو على الانسحاب. استمر الحصار ١١٧ يوما، وانتهى بتوقيع معاهدة أوتريخت لعام ١٧١٣ ومعاهدة راستات عام ١٧١٤. (تورينو مدينة تقع شمال غرب إيطاليا)

الموضوع السادس: الغزو للسيطرة ولأسباب أخرى

هناك نوعين مختلفين للغزو:

١. لمهاجمة دولة مجاورة
٢. للهجوم على موقع بعيد عبر أرض قريبة مساحتها واسعة يقطنها أناس محايدون أو مشبوهون أو عدائيون.

من المؤسف أن حروب السيطرة تمنح الثراء، الاسكندر المقدوني وقيصر ونابليون بونابرت (في جزء من حياته المهنية) أثبتوا ذلك. على أية حال فهنالك قيوداً طبيعية لهذه الحرب لا يمكن تجاوزها دون تكبد خسائر كبيرة. قمبيز الثاني في النوبة[٣٤] ودارا الأول[٣٥] في سيكيثيا[٣٦] والجنرال كراسوس[٣٧] والإمبراطور يوليان (المرتد)[٣٨] في فرثيا[٣٩] ونابليون في روسيا[٤٠] قدموا براهين دموية لهذه الحقائق. على أية حال حب السيطرة لم يكن الدافع الوحيد لنابليون؛ فموقعه الشخصي أو تنافسه مع انكلترا دفعه للمجازفة بغرض تحقيق التفوق والعظمة. لقد كان يحب الحرب فعلاً، لكنه أيضاً كان ضحية ضرورة النجاح في جهوده أو الإذعان لإنكلترا، قد يُقال أنه أُرسِل للعالم ليعلم الجنرالات والسياسيين ما عليهم أن يتجنبوه.

---

[٣٤] قمبيز الثاني ملك الأخمينيين الفُرس ابن الشاه الإيراني قورش العظيم، فشل في حملته على النوبة لتهوره واستعداده السيء وسلوكه طريقا عبر الصحراء القاحلة التي أهلكت جيشه.

[٣٥] دارا الأول، داريوس الأول (كما يسميه الفرس بداريوش الكبير هو الملك الأخميني الثالث حكم من ٥٢١ ق.م إلى ٤٨٦ ق.م صهر سميردس، وابن ويشتاسب، وحفيد أرساميس. قاتل قبائل السكيثيين (وهم من البدو الرحل شمال إيران) الذين تمردوا عليه وهددوا طرقه التجارية بين سواحل البحر الأسود وآسيا الوسطى حتى أنهك جيشه نتيجة المسافات التي قطعوها والأمراض.

[٣٦] سيثيا أو سقيثيا أو سكيثيا هي منطقة تاريخية سكنها السكيثيين من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد وتقع بين شرق أوروبا وأسيا الوسطى.

[٣٧] ماركوس ليسينوس كراسوس (53 - c. 115 قبل الميلاد) قائد عسكري وسياسي روماني لعب دوراً رئيسياً في تحول الجمهورية الرومانية للإمبراطورية الرومانية. قاد حملة عسكرية على الإمبراطورية الفرثية (بلاد فارس) انتهت بهزيمته الساحقة ومقتله في معركة حران في تركيا.

[٣٨] يوليانوس (يوليان المرتد - يوليانوس الجاحد) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (٣٦١–٣٦٣م) حاول يوليانوس المرتد أن يعيد احياء الوثنية في الإمبراطورية الرومانية في عام ٣٦١ لكنه فشل، قاد حملة على الساسانيين (لعل المؤلف أخطأ في تسميتهم فرثيين وهم سلالة فارسية أقدم من الساسانيين) انتهت بمقتله وهزيمة حملته.

[٣٩] فرثية أو بارثية أو فارثية هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية أو بارثيا هو اسم منطقة تاريخية في شمال شرق إيران تعادل تقريبا غرب خراسان عرفت بكونها المركز السياسي والثقافي للسلالة الأرشكية التي حكمت الإمبراطورية البارثية. التي حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق م- ٢٢٦ م)

[٤٠] الغزو الفرنسي لروسيا الذي كان في العام ١٨١٢ كان نقطة تحول في الحروب النابليونية. هذه الحرب تعرف في روسيا بالحرب الوطنية. تعرف الحرب الوطنية أيضا باسم "حرب ١٨١٢" كان هدف نابليون من الحرب هو إجبار قيصر روسيا ألكسندر الأول على وقف التجارة مع بريطانيا مما كان سيدفعها برأيه لقبول الصلح مع فرنسا. أما الهدف السياسي الرسمي من الحرب فكان تحرير بولندا من التهديد الروسي. لذلك أطلق نابليون اسم "الحرب البولندية الثانية" على حملته لكى يكسب تعاطف البولنديين وليوفر غطاء سياسيا للحملة. انتهت حملة نابليون بالهزيمة نتيجة لاتباع الروس سياسة تأخير المواجهة الحاسمة وإطالة أمد الحرب ومع هجمات الفلاحين الروس على الفرنسيين ونقص الإمداد والبرد القارس أدى كل ذلك إلى هزيمة الجيش الفرنسي.

علمتنا انتصاراته ما يمكن إنجازه بالسرعة والجرأة والمهارة، بينما علمتنا هزائمه كيف من الممكن تجنبها بالحكمة والتروي.

يعتبر الغزو دون سبب وجيه كما فعل جنكيز خان[٤١] جريمة ضد الإنسانية، لكن عندما يكون التحرك لدوافع حسنة أو مصالح كبرى فمن الممكن تبرير هذا التحرك أو حتى استحسانه. اختلف الغزو الإسباني عام ١٨٠٨ عن الغزو في عام ١٨٢٣ في الأهداف والنتائج، كان الغزو الأول هجوماً مخادعاً وظالماً وهدد وجود الأمة الإسبانية، وتسببت الحرب بتدمير من أشعلها. بينما الغزو الثاني الذي كان يقاتل مبادئ خطيرة، عزز المصالح العامة للدولة، وحقق انتصاراً أكثر سهولة وذلك لأن أهدافه لاقت تأييداً من عامة الشعب الإسباني.

تظهر هذه النماذج أنه ليس من الضروري أن يكون لكل الغزوات نفس الطابع، فقد تسبب الغزو الأول بسقوط نابليون، أما الغزو الثاني فكان سبباً لاستعادة العلاقات بين فرنسا وإسبانيا التي كان ينبغي لها أن لا تتغير[٤٢].

نأمل أن يكون الغزو نادراً، ومع ذلك أن تهاجم خيراً من أن تتعرض لهجوم. ولنتذكر أن أفضل طريقة لكبت الرغبة بالسيطرة هي مقابلة التدخل بتدخل آخر في الوقت المناسب. ولينجح الغزو يجب أن يكون متناسباً في الحجم مع النتائج المرجوة ومع العوائق المتوقعة والتي يجب تجاوزها.

الغزو ضد شعب ثائر ومستعد لكل التضحيات يعتبر مجازفة خطيرة وخاصة إن كان الشعب مدعوماً من دولة مجاورة قوية، وتجلى ذلك بصورة واضحة في الحرب الإسبانية عام ١٨٠٨ وكذلك في حروب الثورة الفرنسية عام ١٧٩٢ و١٧٩٣ و١٧٩٤. في الحروب الأخيرة

---

٤١ . جنكيز خان (1227 - 1165) م وهو مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته، توسعت بعد أن قتل الملايين من سكان البلاد التي يحتلها، وقد ارتكب مجازر كبيرة بحق المسلمين

[٤٢] حرب الاستقلال الاسبانية هي حرب نشبت عام ١٨٠٨ حتى ١٨١٤ ضد فرنسا بقيادة نابليون على اثر احتلالها لإسبانيا، كان سبب الاحتلال لإزالة الاطراف الموالية لبريطانيا في البلاط الاسباني وتم على إثرها إزالة الملك شارلز السادس وولي عهده وتنصيب نابليون لأخيه جوزيف ملكا على اسبانيا ،وتم ذلك بالحيلة والغدر، إذ كانت إسبانيا أصلا في حلف مع فرنسا. تم إدخال القوات الفرنسية كذلك بالحيلة بزعم إيصال إمدادات للقوات الفرنسية التي كانت محتلة البرتغال واحتلت فرنسا على إثرها إسبانيا مما سبب موجة من المقاومة الشعبية التي عرفت في ذلك الوقت لأول مرة بحرب العصابات. كانت نهاية الحرب هزيمة فرنسا هزيمة مذلة خرجت على إثرها من إسبانيا.
أما عام ١٨٢٣ دخلت فرنسا (الملكية) لإعادة الملك فيرناند الذي انقلب عليه الليبراليون ضمن حملة أبناء القديس لويس العسكرية ولم تلق مقاومة من قبل الشعب الاسباني.

صحيح أن فرنسا كانت مستعدة عسكرياً أفضل من إسبانيا، لكنها كانت بدون حليف قوي وبالتالي قامت كل أوروبا بمهاجمتها عن طريق البر والبحر.

تسبب الغزو الروسي لتركيا[٤٣] (رغم اختلاف الظروف) في إحياء القومية [الوطنية]، وحرض الحقد الديني العثمانيين لحمل السلاح، لكن الدافع نفسه كان ضعيفاً بين اليونانيين الذين كانوا ضعف عدد العثمانيين. لو تم تنسيق المصالح بين الأتراك واليونانيين كما حدث بين فرنسا والألزاس[٤٤] لكان الشعب موحداً وأقوى، ولكنه سيفتقد لعنصر التعصب الديني. في عام ١٨٢٨ أثبتت الحرب قوة الأتراك على الحدود لوجود نخبة قواتها هناك، أما الداخل فكان ضعيفاً.[٤٥]

حين لا توجد مخاوف عند غزو دولة مجاورة من سكان تلك الدولة فإن المبادئ الاستراتيجية تشكل المسار. الشعور المتداول أن غزو إيطاليا والنمسا وبروسيا كان سريعاً[٤٦] (سيتم مناقشة النقاط العسكرية في الموضوع ٢٩). **ولكن إن كان الغزو بعيداً ويتطلب الدخول لأراضٍ واسعة فإن نجاحه يعتمد على الدبلوماسية أكثر من الاستراتيجية.** الخطوة الأولى لضمان النجاح هو تأمين حليف مخلص وأمين ومجاور لدولة العدو، ويتكفل بإرسال التعزيزات من القوات، والأهم من ذلك أن يوفر قاعدة عمليات ومراكز تموين وملجأ آمن في حال حدوث كارثة، ويجب أن يكون الحليف حريصاً في السعي للانتصار لتقديم ما هو ممكن من أجل ذلك.

تعد الدبلوماسية عاملاً حاسماً في الحملات البعيدة، وأيضاً لها فوائد في الغزو القريب؛ ففي الغزو القريب أي تدخل عدواني قد يقضي على النجاح. غزو النمسا عام ١٨٠٥[٤٧] و١٨٠٩[٤٨] كان من الممكن أن ينتهي بشكل مختلف لو تدخلت بروسيا. غزو شمال ألمانيا

---

[٤٣] سبب الحرب بين روسيا وتركيا هو دعم روسيا لحرب استقلال اليونان فنشبت الحرب الروسية التركية من ١٨٢٨-١٨٢٩. اندلعت الحرب بعد أن أغلق السلطان مضيق الدردنيل بوجه السفن الروسية وألغى اتفاقية أكرمان انتقاماً للمشاركة الروسية في معركة نافارين البحرية التي منعت العثمانيين من الحيلولة دون استقلال اليونان.

[٤٤] ألزاس: هي منطقة ثقافية ولغوية وتاريخية وإدارية في شرقي فرنسا وعاصمتها هي ستراسبورغ. كانت تاريخياً محل نزاع مع ألمانيا.

[٤٥] يقصد به السلطة العثمانية في اليونان كانت ضعيفة مما أدى لسهولة خروجها عن الحكم العثماني

[٤٦] لعل المؤلف يقصد غزو نابليون لهذه الدول

[٤٧] غزت فرنسا بقيادة نابليون النمسا رداً على انضمامها للحلف الثالث ضد نابليون واحتلالها لمملكة بافاريا الموالية لفرنسا

[٤٨] وذلك في حرب التحالف الخامسة ، وهي حرب اندلعت عام ١٨٠٩، بين تحالف يضم مجموعة من الدول أبرزها الامبراطورية النمساوية، والمملكة المتحدة ضد الامبراطورية الفرنسية والدول التابعة لها وحلفائها بقيادة نابليون الأول. وقعت الاشتباكات الرئيسية

عام ١٨٠٧[٤٩] (إذا جاز التعبير) لم يكن ليتم لولا موافقة النمسا[٥٠].وفي روملي عام ١٨٢٩ كادت أن تنتهي بكارثة لعدم وجود قيادة تمنع كل فرص التدخل بالمفاوضات[٥١].

الموضوع السابع: الحروب العقائدية

بالرغم من أن الحروب العقائدية والحروب الأهلية والحروب القومية [الوطنية] متداخلة، إلا أنها تختلف فيما بينها، وهذا الاختلاف يكفي لتقسيمها لأنواع مختلفة. قد تكون الحروب العقائدية داخلية أو داخلية وخارجية أو خارجية فقط (وهذا نادر). تعتبر الحروب العقائدية بين دولتين من حروب التدخل، يكون سببها رغبة أحد الطرفين في نشر معتقداته في دول الجوار، أو مذاهب ترغب في القضاء على غيرها، فتؤدي في كلتا الحالتين إلى التدخل. بالرغم من نشوء هذه الحروب من خلفيات مذهبية سواء كانت سياسية أم دينية، فإن هذه الحروب هي الأشد بؤساً؛ وذلك لأنها تثير في النفوس أشد الأحقاد (كالحروب القومية) فتصبح الحرب انتقامية وقاسية وبشعة.

الحروب الإسلامية والصليبية وحرب الثلاثين عاماً[٥٢] وحروب العصبة[٥٣] لها نفس الصفات. **عادة ما يتم اتخاذ الدين ذريعة لكسب القوة السياسية**، وكذلك الحرب ليست بعيدةً عن

بين فرنسا والنمسا، المساهمين الرئيسيين في الحرب، كانت معاهدة شونبرون الناتجة عن الحرب أقصى ما فرضته الامبراطورية الفرنسية على الامبراطورية النمساوية في الذاكرة الحديثة.

[٤٩] وذلك في حرب التحالف الرابعة وهو صراع عسكري دام بين عامي ١٨٠٦ - ١٨٠٧ في أوروبا الغربية بدأ عندما تم تشكيل تحالف أوروبي للهجوم على إمبراطورية فرنسا بواسطة روسيا وبروسيا وساكسونيا وبريطانيا العظمى .في العاشر من أكتوبر عام ١٨٠٦ تقدمت القوات الفرنسية ودمرت الجيش البروسي واستطاعت القوات الفرنسية دخول برلين في الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٠٦، ولم تكتفي بذلك فقط، ولكن نابليون أمر قواته بالتقدم ومتابعة اللحاق بالقوات البروسية حتى وصلت القوات الفرنسية إلي أقصى شرق بروسيا والحدود الروسية، وهناك حارب الفرنسيون الروس في معارك ضارية غير حاسمة، حتى استطاع هزيمة الروس في معركة فريدلند مما حدا بالروس أن يطلبوا السلام، فجاءت معاهدتي تيسليت في يونيو عام ١٨٠٧ وكانت معاهدة قاسية على بروسيا حيث تضمنت أن تقوم بروسيا بتسليم جميع الأراضي الموجودة على نهر الراين الأدنى.

[٥٠] من الملاحظ أن المؤلف أشار إلى تورط النمسا في حرب التحالف الثالثة والخامسة دون تدخل بروسيا أدى إلى انكسارها، والعكس صحيح حيث انكسرت بروسيا في حرب التحالف الرابعة مع عدم ابداء النمسا لأي تحرك ضد نابليون.

[٥١] يقصد به الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٢٩، ولعل المؤلف يقصد بأن السلطنة العثمانية لم تنجح في منع تفاقم التدخلات التي ساعدت على انفصال اليونان. وروملي هي الإقليم العثماني في أوروبا وتشمل شبه جزيرة البلقان واليونان.

[٥٢] حرب الثلاثين عاما هي سلسلة صراعات دامية مزقت أوروبا بين عامي ١٦١٨ و١٦٤٨ م، وقعت معاركها بدايةً وبشكل عام في أراضي أوروبا الوسطى (خاصة أراضي ألمانيا الحالية) العائدة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن اشتركت فيها تباعاً معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذاك العصر، فيما عدا إنكلترا وروسيا .في الجزء الثاني من فترة الحرب امتدت المعارك إلى فرنسا والأراضي المنخفضة وشمال إيطاليا وكاتالونيا .خلال سنواتها الثلاثين تغيرت تدريجياً طبيعة ودوافع الحرب : فقد اندلعت الحرب في البداية كصراع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى، بين فرنسا وهابسبورغ، بل ويعد السبب الرئيسي في نظر البعض، ففرنسا الكاثوليكية تحت حكم الكردينال ريشيليو في ذلك الوقت ساندت الجانب البروتستانتي في الحرب لإضعاف منافسيهم آل هابسبورغ لتعزيز موقف فرنسا كقوة أوروبية بارزة، فزاد هذا من حدة التناحر بينهما، ما أدى لاحقا إلى حرب مباشرة بين فرنسا وإسبانيا.

ذلك. خلفاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم اهتموا بتوسيع إمبراطوريتهم أكثر من اهتمامهم بتعاليم القرآن.[٥٤] وفيليب الثاني[٥٥] (الذي كان متعصباً كاثوليكياً) لم يساند التحالف الكاثوليكي في فرنسا بغرض تقوية الكنيسة الرومانية.[٥٦] نتفق مع م.أنسيلوت: أن سبب شن لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة على مصر يتعلق بالتجارة مع الهند الشرقية أكثر من علاقته بتحرير ضريح المسيح عليه السلام[٥٧].

في بعض الأحيان تكون العقيدة ليست ذريعة لشن الحرب فقط، بل تكون أيضاً حليفاً قوياً؛ لأنها تثير المشاعر في النفوس وتشق صف العدو في الحرب. على سبيل المثال: السويديون في حرب الثلاثين عام[٥٨]، وفيليب الثاني في فرنسا[٥٩] كان لديهم حلفاء في الدول التي غزوها أكثر من جيوشهم. **ولكن قد يحصل (كما في الحروب الصليبية والحروب الإسلامية) أن العقيدة التي شنت من أجلها الحرب بدلاً من أن تكسب حلفاء، ولّدت ألدَّ الأعداء في الدول التي غزوها، وبذلك تصبح الحرب رهيبة.**

فرص التأييد والمعارضة في الحروب العقائدية متساوية بشكل تقريبي. لعلنا نتذكر في عام ١٧٩٢ كيف ظنت اتحادات المناصرين أنه بالإمكان نشر إعلان حقوق الإنسان والمواطن الشهير[٦٠] في أرجاء أوروبا، وكيف فزعت الحكومات جميعها، ولجأت للعنف والسلاح لإطفاء نار الاحتجاجات. لم تكن هذه الوسائل موفقة؛ الحرب والشراسة وسائل غير مناسبة لقمع

---

[٥٣] مصطلح حروب العصبة يشير إلى مجموعة الحروب المقدسة التي نظم حلفها البابا وكانت معظمها ضد الدولة العثمانية مثل حرب العصبة المقدسة عام ١٥٣٨ وحرب العثمانية البندقية عام ١٥٧٠- ١٥٧٣ وحرب التركية العظمى عام ١٦٨٤ وكذلك حرب عصبة كامبري التي كانت بين الدول الايطالية وأوربا الغربية بين عام ١٥٠٨ وعام ١٥١٦.

[٥٤] هذا حسب رأي المؤلف الكافر طبعا

[٥٥] فيليب الثاني ملك إسبانيا (١٥٩٨-١٥٥٦)، وملك نابولي وصقلية (١٥٩٨-١٥٥٤)، ملك انكلترا القرين كزوج لماري الأولى (بين عامي ١٥٥٤ - ١٥٥٨، حاكم المقاطعات السبعة عشر (حاصلاً على مختلف ألقاب تلك الأراضي، مثل الدوق أو الكونت) من ١٥٥٦ حتى ١٥٨١،ملك البرتغال والغرب (باسم فيليب الأول) من ١٥٨٠ حتى ١٥٩٨ وملك تشيلي من ١٥٥٤ حتى ١٥٦٦.

[٥٦] تحالف الكاثوليكي لفرنسا ويعرف كذلك باسم العصبة المقدسة، كان فصيلاً رئيسياً خلال حروب فرنسا الدينية أسسه هنري الأول، دوق جيز عام ١٥٧٦. أراد التحالف القضاء على البروتستانت، كالفينيون وهوغونوتيون على حد سواء، وتخليص فرنسا الكاثوليكية منهم خلال فترة الإصلاح البروتستانتي، واستبدال الملك هنري الثالث. حسب رأي المؤلف كان دعم فيليب الثاني ملك اسبانيا للتحالف من باب نيل المكاسب السياسية أكثر من التعصب المذهبي.

[٥٧] الملك لويس التاسع (القديس) ملك فرنسا ،وفترة حكمه (٢٥أبريل ١٢١٤-٢٥ أغسطس ١٢٧٠) تولى الحكم وعمره ١٢، قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر في عهد الأيوبيين ومُنِي بهزيمة منكرة في معركة المنصورة.

[٥٨] غزت الإمبراطورية السويدية الإمبراطورية الرومانية المقدسة من عام ١٦٣٠-١٦٣٥ في عهد غوستاف الثاني أدولف البروتستانتي محققا تحولاً في حرب الثلاثين عاماً لصالح البروتستانت.

[٥٩] حلفائه من الكاثوليكيين الفرنسيين

[٦٠] إعلان حقوق الإنسان والمواطن هو الإعلان الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية في ٢٦ آب/أغسطس 1789. يعتبر الإعلان وثيقة حقوق من وثائق الثورة الفرنسية الأساسية وتُعرَّف فيها الحقوق الفردية والجماعية للأمة.

الشر الموجود داخلنا الذي يثور خلال فترات مؤقتة وقصيرة وشديدة العنف. **الوقت** هو العلاج الحقيقي لجميع المشاعر السيئة، ولجميع العقائد الفوضوية. قد تتحمل أمة متحضرة الخضوع لجماهير حزبية متهورة لوقت قصير، ولكن هذه الأعاصير سرعان ما تذهب وتتحير العقول. **إن محاولة كبت مثل هذه الغوغاء بقوة خارجية هي كمحاولة منع انفجار لغمٍ اشتعل باردوه أصلاً. انتظار حدوث الانفجار ومن ثم ردم حفرة الانفجار أفضل بكثير من محاولة منع الانفجار وإهلاك النفس بهذه المحاولة.**

بعد دراسة شاملة للثورة الفرنسية، اقتنعت بأن الجيرونديين[٦١] والجمعية الوطنية لولا تهديدهم بغزو قوة أجنبية[٦٢]، لم يكونوا ليجرؤوا أن يضعوا أياديهم المنجسة على الرأس الطاهرة للملك لويس السادس عشر. لم يكن ليُدمرَ الجيرونديون من قبل حزب الجبل[٦٣]، بل من انقلاب [هزائم] دوموريز[٦٤] وتهديدات الغزو. ولو تُركوا ليتصادموا مع بعضهم البعض كما يريدون، فمن المحتمل بدلاً من إفساح المجال للمؤتمر[٦٥] الرهيب؛ كانت الجمعية الوطنية ستعود ببطء لإعادة مبدأ الملكية المعتدلة الحسنة المتفقة مع ضرورات وتقاليد فرنسا العريقة.

من وجهة نظر عسكرية هذه الحروب مرعبة؛ لأن القوة الغازية لا تواجه جيوش العدو فقط، بل تواجه شعباً ثائراً. قد يقال أن العنف من أحد الطرفين سيخلق دعم للغزاة من الطرف

---

[٦١] الجيرونديين: تيار من حزب اليعاقبة الذي نشأ أثناء الثورة الفرنسية . وجاءت تسميتهم بهذا الاسم لأن معظم قادتهم ينتمون لمقاطعة جيروند . والجيروندين جمهوريون ، ويمثلون البراجوزِّية الطبقة المتوسطة ، ويؤمنون بالملكية الدستورية. ويخشون من سيطرة نوّاب باريس على فرنسا كلها . جاء الجيرونديون إلى الحكم بناء على دستور الجمهورية عام 1791م . وفي شهر يونيو من عام 1793م قام حزب الجبل عبر المؤتمر الوطني بإزاحة واعتقال الجيرونديين ، وبسبب الحملة ضد الجيرونديين هرب العديد من قادتهم إلى نورماندي حيث اعتادوا عقد اجتماعات سرية . وقعت الحكومة تحت سيطرة حزب الجبل وهم الجمهوريون يؤمنون بسيطرة باريس وبالجمهورية المطلقة. تم إعدام العديد من الجيرونديين بالمقصلة أثناء عهد الإرهاب في الثورة الفرنسية ، ولم يعد يمثلون قوة ، بل لم يعد لهم وجود يذكر في فرنسا.

[٦٢] تدخلت عدة دول منها الإمبراطورية النمساوية وغيرها لغرض تحرير الملك من سلطة الجمعية الوطنية والثوار، على أثر ذلك ألقى الثوار القبض على الملك وأعدم بتهمة الخيانة وتعريض البلاد لغزو أجنبي.

[٦٣] حزب الجبل هو التيار الأكثر تطرفا في حزب اليعاقبة نحو الجمهورية ، في مايو ١٧٩٣ نجح قادة حزب الجبل بقيادة ماكسيميليان دي روبسبير في تهميش حزب الجيرونديين والسيطرة على الحكم حتى يوليو ١٧٩٤. وقد اتسمت هذه الفترة من حكمهم بمستويات عالية من العنف السياسي، مما أدى ببعض المؤرخين -بعد يوليو ١٧٩٤- بتسمية تلك الفترة من حكومة اليعقوبيين باسم" عهد الإرهاب."

في أكتوبر ١٧٩٣، تم إعدام ٢١ عضواً بارزاً من الجيرونديين. وقيل إن الحكومة التي تدار بواسطة حزب الجبل أعدمت ١٧،٠٠٠ من المعارضين في جميع أنحاء البلاد، بحجة قمع الحرب في فونديه و"التمرد الاتحادي"، ومنع أي تمرد أخر.

[٦٤] دوموريز: قائد عسكري فرنسي مع جيش الثوار في حرب الثورة الفرنسية، ثم انقلب ضدهم وارتمى في أحضان النمساويين كان مرتبطاً بالجيرونديين ومبغوضاً من قبل حزب الجبل مما جعل وضع الجيرونديين في خطر لدى انقلابه.

[٦٥] يقصد المؤتمر الوطني الفرنسي الذي قام تشكيل الجمعية الدستورية والتشريعية في فرنسا وانعقدت من ٢٠ سبتمبر ١٧٩٢ إلى ٢٦ أكتوبر ١٧٩٥. وقد تولى السلطة التنفيذية في فرنسا خلال السنوات الأولى من الجمهورية الفرنسية الأولى. كانت السلطة التنفيذية بحكم الأمر الواقع في يد لجنة السلامة العامة التابعة للمؤتمر.

الثاني بالضرورة، ولكن إذا كان الطرف الثائر يملك جميع الموارد العامة والجيوش والحصون والمدفعية، وكان مدعوماً من غالبية الشعب، فما جدوى دعم الطرف الذي لا يملك أي مقومات؟ ما الخدمة التي سيقدمها مئة ألف من الفنديين[٦٦] ومئة ألف من الفيدراليين[٦٧] للتحالف الأول[٦٨] في عام ١٧٩٣؟

لم يحتوي التاريخ إلا على مثال واحد عن صراع كالثورة الفرنسية، وقد أظهرت خطورة الهجوم على شعب شديد الغضب. على أية حال فإن الإدارة السيئة للعمليات العسكرية كان أحد الأسباب لهذه النتيجة الغير متوقعة. وقبل استخلاص الفوائد من هذه الحروب، فيجب التفكُّرْ في النتيجة التي كانت ستحدث (بعد هروب دوموريز) فيما لو قام الحلفاء (عوضاً عن تدمير واحتلال الحصون) بالإعلان لقادة الحصون أنهم لا ينوون إيذاء فرنسا ولا حصونها ولا جيشها الشجاع، ولو تقدموا نحو باريس بمائتي ألف جندي، لكانوا استعادوا الملكية وأيضاً لعادوا ومعهم حماية على الأقل من نفس العدد لانسحابهم نحو الراين. من الصعب تحديد ذلك. بما أن التجربة هذه لم تحدث أصلاً وكذلك لكون كل ذلك يعتمد على مسار الأمة الفرنسية والجيش. وهكذا المشكلة لها حلين معقدين على السواء. قدمت حملة التحالف عام ١٧٩٣ الحل الأول الذي لم ينجح، ومن الصعب القول أن الحل الثاني كان سينجح. فقط التجربة كانت ستحدد ذلك.

الأسس العسكرية لمثل هذه الحروب تشبه بشكل كبير الحروب القومية مع الاختلاف في نقطة حيوية. **في الحروب القومية يجب احتلال الدولة وإخضاعها. الأماكن المحصنة تحاصر وتدمر وكذلك الجيوش تدمر، بينما في الحروب العقائدية إخضاع البلاد أمر أقل أهمية، ويجب أن توجه الجهود الكبيرة لإنهاء الحرب بسرعة دون التأخر بالتفاصيل، ويجب الحرص على عدم تهييج الشعوب واستفزازها مما يدفعها للمطالبة باستقلالها.**

---

[٦٦] الفنديين: هم جماعة الثورة المضادة الموالين للملكية الفرنسية وثاروا ضد الجمهورية الفرنسية وكان معقلهم محافظة فندي (فونديه) غرب فرنسا فونديه ومطلة على المحيط الأطلسي. هذا الإقليم جزء من منطقة بايي دو لا لوار.

[٦٧] الفيدراليين: تيار موالي للجيروندين سعى لتحقيق الفدرالية متأثرين بدعوة الجيروندين للحكم الفيدرالي وبدأوا بثورة بعد تصفية حزب الجبل للجيروندين.

[٦٨] التحالف الأول (1792-1797)هو أول تحالف من عدة ممالك أوروبية بهدف احتواء فرنسا الثورية . ولم تحقق أي دولة أهدافها من التحالف للنيل من الجمهورية الفرنسية الأولى.

يمكن الاستشهاد بالحرب في إسبانيا عام ١٨٢٣ كمثال مضاد للثورة. صحيح أن الظروف كانت مختلفة قليلاً. فالجيش الفرنسي عام ١٧٩٢ كان مؤلفاً من عناصر أكثر صلابة من الراديكاليين في إسلاديليون[٦٩]. حرب الثورة الفرنسية كانت في بعض الأحيان حرب عقائد، وأحياناً أخرى حرب قومية، وأيضاً في بعض مراحلها كانت حرب أهلية، بينما الحرب الأولى في إسبانيا عام ١٨٠٨ كانت حرب قومية تماماً، أما الحرب في إسبانيا عام ١٨٢٣ كانت صراعاً جزئياً في المعتقدات وليست صراعاً قومياً، فأعطى ذلك فرقاً هائلاً في النتائج. بالإضافة لذلك نفّذ دوق أنغولم[٧٠] حملته بشكل جيد، فبدلاً من الهجوم على الحصون عمل بما يتفق مع المبادئ المذكورة آنفاً. تقدم بسرعة نحو نهر إبرة[٧١]، وهناك قسّم قواته للسيطرة (عند مصادر العدو) على جميع عناصر قوة العدو، وقاموا بذلك بشكل آمن حيث كانت محفوظة من قبل السكان. لو أنه تمسك بأوامر الوزارة في السيطرة على البلاد والحصون بين النهر وجبال البرانس[٧٢] بشكل ممنهج بغرض توفير قاعدة عمليات فمن الأرجح أنه كان سيفشل، أو على الأقل لأصبحت الحرب طويلة الأمد وتحولت إلى حرب دموية، وذلك بإثارة الروح القومية لاحتلال الأرض بشكل مشابه للحال في عام ١٨٠٧.

كان متشجعاً بالاستقبال الحار من الشعب، فأدرك أن العملية سياسية أكثر من كونها عسكرية، وأن الأمر يقتضي إنهاء الأمر بسرعة. في ثلاثة أشهر وصل الجيش إلى أسوار قادس[٧٣].

إذا كانت الأحداث في شبه الجزيرة الإيبيرية قد أثبتت أن القيادة كانت غير قادرة على استثمار النجاح لإيجاد ترتيب مناسب ومتين للأوضاع؛ فإن الخطأ ليس في الجيش ولا في

---

[٦٩] إسلاديليون: منطقة واقعة بين بلدة قادس وبين شبه الجزيرة الإيبيرية، تحصن فيها وفي قادس الليبراليون الإسبان عام ١٨٢٣ لمواجهة الجيش الملكي الفرنسي حيث كانوا قد سجنوا الملك الإسباني الذي انقلبوا عليه الملك فيرناندو السابع.

[٧٠] دوق أنغولم: هو لويس التاسع عشر اسمه لويس أنطوان (٦ أغسطس ١٧٧٥ - ٣ يونيو ١٨٤٤) كان الابن الأكبر لتشارلز العاشر ملك وآخر ملك من سلالة دوفين من فرنسا ١٨٢٤-١٨٣٠. وكان من الناحية الفنية ملك فرنسا و نافار لمدة أقل من ٢٠ دقيقة قبل أن يتنازل عن العرش، بسبب تنازل والده خلال ثورة يوليو عام ١٨٣٠. قاد الفيالق الفرنسية في حرب ١٨٢٣ في اسبانيا وانتصر فيها في معركة تروكاديرو.

[٧١] نهر إِبْرُه أكثر أنهار إسبانيا منسوبا. يبلغ طوله ٩٢٨ كم تبلغ مساحة حوضه ٨٠,٠٩٣ كم². يقع في شمال شرقي إسبانيا ينبع من جبال القلاع ويجرى نحو الجنوب الشرقي على طول حضيض جبال البرانس مارا بسرقسطة ليصب في بحر الظلمات بدلتا واسعة.

[٧٢] جبال البرانس، البيريني أو البرينيو سلسلة جبلية تقع جنوب غرب أوروبا، بين فرنسا وإسبانيا وتمثل الحدود الطبيعية بينهما. تمتد لمسافة قدرها ٤٣٠ كلم من خليج بسكاي بالمحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق.

[٧٣] غادِش أو قادس واحدة من أعرق المدن الإسبانية الساحلية في جنوب الأندلس وهي عاصمة مقاطعة قادس ومبنية على شبه جزيرة ضيقة وطويلة تمتد إلى داخل خليج

قياداته، بل في الحكومة الإسبانية التي خضعت للآراء الرجعية الباطشة الغير قادرة على الارتقاء بمهمتها. فيرناندو السابع[٧٤] (الذي هو الفيصل بين التيارين العظيمين المتصادمين) رمى نفسه على نحو أعمى في أيادي من يزعمون تبجيلهم العميق لعرشه.[٧٥] ولكن في حقيقتهم هم يريدون استغلال سلطته الملكية لتنمية إنجازاتهم الخاصة بغض النظر عن العواقب، وبقيت الأمة منقسمة بين معسكرين متصادمين، ولم يكن من المستحيل تهدئتهما والإصلاح بينهما مع مرور الوقت. ولقد وقع صدام جديد بين هذين المعسكرين كما توقعت في فيرونا[٧٦] عام ١٨٢٣. درس قاسي يتعلم منه الجميع أنه لن يُترَك أحد ليتمتع بهذه الأرض الجميلة البائسة. بالرغم من أن التاريخ لم يخلو من الأمثلة التي تثبت أن ردّات الأفعال العنيفة (أعنف من الثورات) ليست عناصر بناء وجمع. اللهم ابعث لنا من هذا الصراع العنيف ملكية قوية ومحترمة، تقف من كل الأطراف على مسافة واحدة وتعتمد على جيش منضبط وتقوم على المصالح العامة للبلاد، ملكية تستقطب الدعم لهذه الأمة الإسبانية العويصة، التي محاسنها ليست أقل من مساوئها، التي كانت دائماً مشكلة لمن كان في أفضل موقع لمعرفتها.

الموضوع الثامن: الحروب القومية [الوطنية]

أشرنا سابقاً في الحروب القومية في الكلام عن الغزو، وهي أشد أنواع الحروب جميعها. ينطبق هذا الاسم فقط على الحروب التي تُشَن على شعب موحد أو ضد فئة كبيرة منه فيدفعهم الشعور النبيل والتصميم للحفاظ على استقلالهم. في هذه الحرب يصبح كل شبر من الأرض مُتنازَعٌ عليه، الجيش لا يملك إلا أرض معسكره وإمداداته لا تأتي إلا بحد السيف (بالقوة)، وقوافله في كل مكان مهددة أو يتم أسرها.

حدوث الثورة الشعبية التلقائية [العفوية] أمرٌ نادر، رغم ما فيها من السمو والنبل التي تثيران إعجابي، فإن العواقب رهيبة جداً إلى درجة أني لا أرغب برؤية هذا المشهد أبداً، وذلك

[٧٤] فيرناندو السابع: ملك إسبانيا، وبسببه حدث غزو إسبانيا عام ١٨٢٣، كان مدعوماً من الملكية الفرنسية في ذلك الوقت وهذه الحرب أعادته لحكم إسبانيا بعد أن حرروه من قبضة الإسبان الليبراليين

[٧٥] يقصد الملك لويس الثامن عشر ملك فرنسا

[٧٦] فيرونا: بلدة إيطاليا تقع في شمال إيطاليا

لمصلحة الإنسانية. يجب أن لا يُلتبَس بين الثورة وبين الدفاع القومي [الوطني] التابع لمؤسسات الدولة والموجه من الحكومة.

هذا النهوض قد ينتج من الأسباب الأشد تناقضاً، قد يثور العبيد [الأقنان][٧٧] في الجملة استجابة لنداء حكومتهم وأسيادهم، متأثرين بالمحبة النبيلة لبلادهم وملوكهم حيث يعتبروهم كقدوات. وبشكل مشابه يتسلح الشعب المتعصب دينياً بتحريض من القساوسة، أو الشعب المتحمس لمعتقداته السياسية، أو يتم تحريضه بالحب المقدس لمؤسساته حيث يتحرك بسرعة لملاقاة الأعداء للدفاع عن أعز ما يملك.

السيطرة على البحار لها أهمية كبيرة في نتائج الغزو القومي. إذا كان الشعب يمتلك شريطاً طويلاً ساحلياً، وكانوا أسياد البحار أو على تحالف مع دولة ذات قوة بحرية كبيرة؛ فإن قوتهم ستتضاعف خمسة مرات، ليس بسبب سهولة تموين تمردهم أو سهولة إنذارهم عن جميع نقاط عدوهم التي يسيطرون عليها فقط، ولكن حتى للصعوبات التي سيواجهها الأعداء في تموينهم عبر البحار.

طبيعة البلاد تساهم في تيسير سبل الدفاع القومي. في البلاد الجبلية الشعب دائماً هو الأقوى، وبعد ذلك تأتي البلاد المغطاة بمساحات واسعة من الغابات.

مقاومة السويسريين للنمسا ولدوق بوروغندي[٧٨]، ومقاومة الكتالونيين في إسبانيا عام ١٧١٢[٧٩] وعام ١٨٠٩[٨٠]، والصعوبات التي واجهها الروس في إخضاع قبائل القوقاز، وأخيراً محاولات التمرد المتكررة للتيروليين (قاطني مقاطعة تيرول في النمسا). كل هذه النماذج تظهر بوضوح أن قاطني المناطق الجبلية دوماً قاوموا لفترات أطول من قاطني مناطق السهول؛ ذلك لاختلاف الخصائص والأعراف والتقاليد والاختلاف في الخصائص الطبيعية للبلاد.

[٧٧] هم العبيد الفلاحون في الأرض الإقطاعية
[٧٨] بوروغندي: منطقة تاريخية كانت مؤلفة من أربع محافظات، تقع حاليا في وسط فرنسا
[٧٩] وذلك في حرب الخلافة الإسبانية
[٨٠] وذلك في حرب شبه الجزيرة الإيبيرية

ونخلص مما سلف أن شُعَب الجبال والغابات الكثيفة والأراضي الصخرية تيسر هذا النوع من الدفاع. البوكاج[٨١] في فندي (الشهيرة جداً) تثبت أن أي أرض تسهل الدفاع القوي حتى لو كانت مقسمة بأسوار من الأشجار والخنادق أو القنوات فقط.



البوكاج

الصعوبات التي تعترض الجيوش في الحروب العقائدية كثيرة جداً، وكذلك في الحروب القومية، وتجعل الإدارة الشاملة لهذه الحروب صعبة جداً. فالأحداث التي ذكرناها للتو وصراع هولندا مع فيليب الثاني[٨٢] وأمريكا مع إنكلترا تقدم براهين قاطعة لحقيقة هذه الصعوبات. لكن الصراعات الأشد هولاً كان صراع فيندي مع الجمهورية الفرنسية وصراع البرتغال وإسبانيا وتيرول مع نابليون[٨٣]، وأخيراً صراع شبه جزيرة مورية (جنوب اليونان) مع الأتراك، وصراع نافاري (منطقة شمال إسبانيا) مع الأميرة كريستينا، هذه الصراعات كشفت عن نماذج أكثر إثارة للصدمة.

تتعاظم الصعوبات عندما يكون الشعب مدعوماً من قبل نواة قوة أساسية منظمة. في حين يمتلك الغزاة جيشاً واحداً، يمتلك أصحاب الأرض جيشاً وشعباً مسلحاً بأكمله أو معظمه. ويصنعون وسائل للمقاومة من كل شيء. في هذه الحالة يكون كل الشعب متفق على عدو

[٨١] البوكاج: هي الأرض الخليطة من الغابات والمراعي

[٨٢] الثورة الهولندية (١٥٦٨- ١٦٤٨) كانت ثورة ناجحة للسبع مقاطعات البروتستانتية الشمالية الكبرى في البلاد الواطئة ضد حكم الملك فيليب ملك الروماني الكاثوليكي، الذي كان قد ورث المنطقة (السبعة عشر محافظة) من دوقية بورجوندي البائدة. (انضمت المحافظات الجنوبية الكاثوليكية في البداية للثورة وانضمت فيما بعد إلى إسبانيا) و قد تصاعد "صدام الثقافات" الدينية تدريجيا على شكل موجات من العنف ضد قمع ملك هابسبورغ. لقد أدت هذه التوترات إلى تشكيل الجمهورية الهولندية المستقلة. وكان وليام أورانج هو أول زعيم، تبعه عدد من ذريته ومعارفه. الأقاليم نفسها.

[٨٣] التمرد التيرولي عام ١٨٠٩ هو تمرد من الفلاحين في مقاطعة تيرول بقيادة أندرياس هوفر ضد احتلال وطنهم من قبل القوات الفرنسية والبافارية في سياق حرب التحالف الخامسة ضد نابليون الأول .

واحد، حتى الغير مقاتلين لهم مصلحة في إهلاك العدو والتعجيل بذلك بكل وسيلة متاحة. أما الجيش الغازي فبالكاد يمسك الأرض التي يعسكر فيها، وكل شيء خارج حدود المعسكر عدو، وتتضاعف الصعوبات آلاف المرات في كل خطوة يخطوها خارج المعسكر.

يصبح اجتياز هذه العوائق من المعجزات عندما تكون البلاد ذات طبيعة صعبة، يعرف سكانها المسلحين أصغر الطرق فيها وإلى أين تؤدي، إضافة إلى أنهم يملكون أقارب وأصدقاء يساعدونهم في كل مكان. كذلك القادة يعرفون البلاد بشكل جيد، ويعلمون بشكل فوري أي تحرك للغزاة، وبإمكانهم استعمال أفضل الوسائل لإحباط مخططات العدو. بينما الغزاة أشبه بالرجل الأعمى، حيث لا معلومات لديهم عن تحركات السكان المسلحين، وليسوا في وضع يسمح لهم بإرسال مفارز للحصول على المعلومات، ولم يبقى لديهم وسيلة للحصول على المعلومات سوى باستخدام السلاح، ونسبة قليلة من الأمان حيث توجد حشود أرتاله؛ ولذلك تفشل جميع إعداداته.

وعندما يقوم الغزاة بتحركات مرسومة بحذر شديد، وتقدم سريع جداً ومتعب، ويظن قائد الغزاة أنه على وشك إنجاز مهمته، يتفاجأ بضربة رهيبة، ولا يجد أي علامة على تواجد العدو سوى النيران في معسكره. بينما يقوم هو بالهجوم على طواحين الهواء (مثل دونكيشوت) فإن عدوه على خطوط مواصلاته يبيد مفارز حمايتها، ويباغت قوافله ومراكز تموينه، ويشن حرب كارثية على الغزاة مما يضطره للاستسلام مع مرور الوقت.

في إسبانيا كنت شاهداً على مثالين بشعين من هذا النوع، ذلك حينما تم تبديل فيالق ميشال نيي[٨٤] مع فيالق جان دو ديو سول[٨٥] في لاكورونيا[٨٦]، فخيمت بسرايا المدفعية التي تجرها الأحصنة بين بيتانزوس[٨٧] ولاكورونيا، وسط أربعة ألوية، وبعيدة عن المخيم مسافة تقدر من ٢ إلى ٣ فرسخ[٨٨]، ولم نشاهد على مسافة ٥٠ ميلاً[٨٩] أي قوات إسبانيّة. كان سول يحتل

---

[٨٤] ميشال نيي دوق إلشينغين و أمير موسكوفا و مارشال الدولة الفرنسية. ولد في العاشر من كانون الثاني يناير عام ١٧٦٩ في سارلويس في منطقة لورين (مقاطعة موزيل عام ١٧٩٠ و جزء من سارلاند ألألمانية حاليا).قتل رميًا بالرصاص في السابع من كانون الثاني يناير عام ١٨١٥ في باريس. عسكري فرنسي و قائد خلال حروب الثورة و الإمبراطورية.

[٨٥] جان دو ديو سول (٢٩ آذار ١٧٦٩-١٦ تشرين الثاني ١٨٥١): عسكري وسياسي فرنسي. دوق دالماسي، وماريشال إمبراطوري. كان واحداً من ماريشالات نابليون القلائل القادرين على قيادة جيش بعيدا عن الامبراطور.

[٨٦] لاكورونيا: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة لاكرونيا، وهي أيضاً عاصمة منطقة غاليسيا.

[٨٧] بيتانزوس: هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[٨٨] في ذلك الوقت كان طول الفرسخ ٣,٢٥ إلى ٤,٦٨ كم

[٨٩] ٨٠كم تقريبا

مدينة سانتياغودي كومبوستيلا[٩٠]، وفرقة موريس ماثيو[٩١] كانت في فيرول[٩٢] ولوغو[٩٣] وفرقة مارشان[٩٤] في لاكورونيا وبيتانزوس. وفي إحدى الليالي اختفت سرايا المدفعية التي تجرها الأحصنة بكامل طواقمها من جنود وأحصنة. ولم نتمكن من معرفة ما حدث لهم. تمكّن عريف واحد مصاب من الهروب، وأبلغنا أن الفلاحين يقودهم الناسكين والقساوسة قاموا بالهجوم عليهم مما اضطرهم للهروب. بعد أربعة أشهر قادَ ميشال نيي فرقة لاحتلال أستورياس[٩٥] من جهة وادي نافيا[٩٦]، بينما خرج كيلرمان[٩٧] من ليون[٩٨] على طريق أوفيدو[٩٩]. تقدم جزء من فيالق الجنرال الإسباني لارومانا[١٠٠] التي كانت تحمي أستورياس، خلف المرتفعات العالية المحيطة بوادي نافيا بمسافة لا تزيد عن فرسخ واحد من أرتالنا، وذلك دون أن يعرف ميشال نيي أي شيء عن ما يحدث. وبينما كان يدخل خيخون[١٠١]، هاجم جيش لارومانا قلب أفواج فرق مارشان التي كانت متوزعة لحماية غاليسيا[١٠٢]. وبالكاد استطاعوا الهروب وذلك بفضل العودة العاجلة لميشال نيي إلى لوغو. أظهرت هذه الحرب آلاف الحوادث الصادمة كهذه. لم يكن ليكفي كل ذهب المكسيك للحصول على معلومات استخباراتية موثوقة لصالح فرنسا، إلا بقدر ما يستدرجها للوقوع في فخاخ أكثر.

لا يمكن لجيش (مهما كان منضبطاً) أن يواجه بشكل ناجح أسلوب قتالي مطبق من قبل أمة عظيمة، إلا إذا كان الجيش قوياً بما يكفي لمسك جميع النقاط الأساسية في البلاد، ومغطياً لجميع الطرق، وبنفس الوقت يجهز قوة فعالة كافية للقضاء على العدو أينما ظهر. إذا كان

---

[٩٠] هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا .

[٩١] ديفيد-موريس-جوزيف ماثيو دي سانت-موريس دي لا ريدورت أو موريس ماثيو (٢٠ فبراير ١٧٦٨ - ١ مارس ١٨٣٣) أصبح قائد فرقة في جيوش نابليون.

[٩٢] فيرول: هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[٩٣] لوغو: إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[٩٤] لويس-جوزيف-نارسيس مارشان (ولد في باريس، ٢٨ مارس ١٧٩١، توفي في، ١٩ يونيو ١٨٧٦) كان الخادم المخلص نابليون بونابرت والمرشح لخلافته من بعده.

[٩٥] أستورياس: منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا عاصمتها هي مدينة أوفييدو.

[٩٦] نافيا: هو نهر في شمال اسبانيا يتدفق من الجنوب إلى الشمال من غاليسيا حتى أستورياس. تصريفها في خليج بسكاي من خلال مصب يسمى ريا دي نافيا.

[٩٧] فرانسوا إيتيان دي كيلرمان (٤ أغسطس ١٧٧٠ - ٢ يونيو ١٨٣٥) كان جنرال سلاح الفرسان الفرنسي عُرف بجرأته ومهارته خلال الحروب النابليونية.

[٩٨] تقع في مقاطعة قشتالة وسط شمال إسبانيا .

[٩٩] أوفيدو: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا تأسست في القرن الثامن ميلادي، وهي عاصمة منطقة أستورياس.

[١٠٠] دون بيدرو كارو رومانا (٢ أكتوبر ١٧٦١ - ٢٣ يناير ١٨١١) جنرال اسباني في حرب شبه الجزيرة الإيبرية

[١٠١] خيخون: هي مدينة تقع في منطقة أستورياس شمال غرب إسبانيا، تطل على بحر كانتابريا.

[١٠٢] غاليسيا منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا. عاصمتها هي مدينة سانتياغو دي كومبوستيلا

للعدو جيشاً نظامياً ذا حجم معتبر ليكون نواة لتستقطب الشعب في كل مكان، فأي قوة كافية للتغلب عليهم في كل مكان وضمان تأمين الطرقات ضد بضعة أفراد؟

يجب الاعتناء بدراسة الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك لمعرفة جميع العوائق التي من الممكن أن تواجه الجنرالات وقواتهم الشجاعة في احتلال أو فتح بلاد جميع سكانها مسلحين، وما هي المتاعب التي واجهت قوات نابليون وضباطه (ماسينا[١٠٣] وسول ونيي وسوجت[١٠٤]) وما قدموا من صبر وشجاعة للحفاظ على المكتسبات وعلى أنفسهم على مدار ستة سنوات أمام ثلاثمائة أو أربعمائة ألف مسلح من الإسبان والبرتغاليين مدعومين بالجيوش النظامية لولنغتن وبيرسفورد وبليك ولارومانا وكوستا وكاستافيوس وريدنج وبايستروس[١٠٥].

[١٠٣] أندريه ماسينا (٦ مايو ١٧٥٨ - ٤ أبريل ١٨١٧) كان قائدا عسكريا فرنسيا خلال الحروب الثورية الفرنسية والنابليونية.

[١٠٤] لويس-غابرييل سوشيت (٢ مارس ١٧٧٠ - ٣ يناير ١٨٢٦)، دوق ألبوفيرا، هو مارشال من فرنسا وأحد جنرالات نابليون الأكثر براعة.

[١٠٥] هؤلاء ضباط إسبانيون وبريطانيون قادوا جيوشا لمقاتلة الفرنسيين في إسبانيا خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية



إذا كان النصر ممكناً في هذه المعركة، فإن الأسلوب التالي من المرجّح أن يحقق هذا النصر. قم بتجهيز قواتك عدداً وعدة بشكل يتناسب مع العوائق والمقاومة المحتملة لمواجهتها، قم بتهدئة الغضب الشعبي بكل وسيلة متاحة، واستنفذ هذا الغضب بالوقت والصبر، وأظهر لهم المجاملة واللباقة، ووفّق بين الشدة واللين، وتعامل معهم بالعدل. إن ما قام به هنري الرابع في حرب العصبة[١٠٦]، والمارشال بيرويك في كتالونيا[١٠٧]، وسوجت في

[١٠٦] هنري الرابع ملك فرنسا (١٣ كانون الأول / ديسمبر ١٥٥٣ - ١٤ أيار / مايو ١٦١٠)، حكم مملكة فرنسا من عام 1589 إلى 1610، -كان من أفضل الملوك الذين تربّعوا على عرش فرنسا، وقد بذل قصارى جهده للتوفيق بين الكاثوليك والبروتستانت في المملكة التي مزقتها الحرب الأهلية التي ورثها عام ١٥٨٩م. وكان شخصياً من البروتستانت، ولكنه في عام ١٥٩٣م اعتنق المذهب الكاثوليكي في محاولة لرأب الصدع . وكانت تلك إحدى السبل لوضع حدَّ للحرب الأهلية، ذلك بأن البروتستانت كانوا راضين عن تحّوله إلى كاثوليكي. ومع علمهم أنه سيسمح لهم ببقائهم على معتقدهم ، فإن الكاثوليك شعروا بأنهم لا يستطيعون الوثوق به. وفي عام ١٥٩٨م أصدر مرسوم نانت الشهير الذي منح بموجبه الحقوق للبروتستانت أو الهوغونو كما يُعرفون في فرنسا.

أراغون وفالنسيا[١٠٨]، وهوتش في فونديه[١٠٩] يعتبر من النماذج ذات الأسلوب الناجح، ويمكن أن يطبق هذا الأسلوب حسب الظروف وبفرص متساوية في النجاح. إن النظام والانضباط البديعين في جيشي ديفيتش وفاسكيفيتش في الحروب الأخيرة، كانتا نماذج جيدة، ولم تكن أقل نجاحاً من مشاريعهم ومصالحهم الخاصة.

العوائق الهائلة التي تواجه القوات الغازية في مثل هذه الحروب، دعت بعض المفكرين أو المنظرين أن يأملوا ألاّ تحدث مثل هذه الحروب، وبذلك ستصبح الحروب نادرة والفتوحات أصعب، مما يقلل من إغراء هذه الفتوحات للقادة الطموحين. هذا التفكير منطقي أكثر من كونه جامد [متحجر]. وحتى نُسلّم بجميع هذه العواقب؛ فمن الضروري دائماً توفر القدرة على تحفيز الشعب لحمل السلاح، ومن الضروري أيضاً الاقتناع أن حروب المستقبل هي حروب احتلال فقط، فكل شرعية عبر الحروب الثانوية (التي هي لغرض الحفاظ على التوازن السياسي أو الدفاع عن المصالح العامة) لن تحدث مرة ثانية، وإلا فكيف نعرف متى وكيف نحمّس الشعب لحمل السلاح لخوض معركة قومية؟

على سبيل المثال: إذا عبر مئة ألف جندي ألماني نهر الراين ودخلوا فرنسا، وذلك لمنع فرنسا من احتلال بلجيكا، دون وجود أي مشروع ذا طابع آخر، فهل من الممكن حدوث حالة تستوجب حمل الشعب رجالاً ونساءً وأطفالاً للسلاح في مقاطعات الألزاس واللورين[١١٠] وشمبينيا[١١١] وبورغندي؟ وجعل كل مدينة مسورة سرقسطة ثانية[١١٢]؟ إن لم يقم الشعب بذلك فإن الألمان كنتيجة للانتصار سيحتلون هذه المقاطعات. هل من الممكن أن نقول أنهم لن يسعوا بعد ذلك لإعلان امتداد سلطانهم على جزء من هذه المقاطعات، حتى لو لم يفكروا في هذا الأمر منذ البداية؟

---

[١٠٧] وذلك في حصار برشلونة بين عامي ١٧١٣ و١٧١٤ وهي معركة وقعت في ختام حرب الخلافة الإسبانية(1701-1714) ، أدت إلى إقصاء وهزيمة الإمبراطور الروماني المقدس كارل السادس) الذي تدعمه مملكة بريطانيا العظمى وهولندا (على يد فيليب الخامس ملك إسبانيا) الذي تدعمه فرنسا(، لتحسم صراعاً سياسياً طويلاً على العرش الإسباني. وكان بيرويك كان قائد الجيش الإسباني، وفاوض الكتالونيين أثناء الحصار مما أقنعهم بالاستسلام في الأخير.

[١٠٨] أسقطهما مارشال سوجت بالحصار والمفاوضات خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية وتقعان شمال شرق اسبانيا

[١٠٩] قاد الجنرال هوتش الجيش الثوري لقمع الملكيين في فونديه ١٧٩٥ وقضى عليهم

[١١٠] مقاطعة شرق فرنسا لها حدود مع بلجيكيا وألمانيا ولوكسمبورغ

[١١١] مقاطعة تقع شمال شرق فرنسا

[١١٢] حاصرت فرنسا سرقسطة خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية أواخر ١٨٠٨ حتى فبراير ١٨٠٩ وكان حصاراً دموياً نتج عنه أكثر من ٦٠٠٠٠ قتيل من الطرفين

صعوبة الإجابة على هذه الأسئلة يبدو أنه جدالٌ لصالح الحرب القومية. لكن ألا يوجد وسائل أخرى للتصدي للغزو دون التسبب بانتفاضة شعبية وحرب إبادة؟ ألا يوجد أسلوب وسطي في هذه الصراعات بين أسلوب القتال الشعبي وبين أسلوب القتال بالجيوش التقليدية؟

ألن يكون كافياً حتى يكون دفاع البلاد متيناً أن نقوم بتنظيم ميليشيا، وتكون موحدة، وتُستدعى من الحكومات للخدمة، وتقوم بدور الشعب في الحروب، وهذا التنظيم يضع حداً لوحشيتها؟

أنا أجيب عن ذلك بنعم، وبتطبيق هذا النظام المختلط لهذه الحالات المذكورة سابقاً، أنا أضمن أن ٥٠,٠٠٠ جندي فرنسي نظامي مدعوم بحرس وطني [قومي] في المناطق الشرقية سيتغلبون على الجيش الألماني الذي عبر جبال الفوج[١١٣]، وبسبب تقليص عدد الجنود إلى ٥٠,٠٠٠ نتيجة المفارز الكثيرة. وعند الاقتراب من نهر الميز أو الوصول إلى أراغون سيكون تعداد الجيش الفرنسي ١٠٠,٠٠٠ جندي بسبب القوات الاحتياطية الوطنية.

لتوفير هذه الوسيلة يجب أن نولي الاهتمام بتحضير احتياطي وطني جيد للجيش، يكون أقل تكلفة في السلم، ويضمن الدفاع عن البلاد في حالة الحرب. هذا النظام استخدم من قبل فرنسا عام ١٧٩٢ وقلدته النمسا عام ١٨٠٩ واستخدمته أيضاً ألمانيا عام ١٨١٣.

ألخِّص هذا النقاش بالتأكيد على الأمر التالي، ودون أن نكون إنسانيين مثاليين أو على العكس من ذلك بأن نكون مرتزقة، بأن الرغبة في إقصاء حروب الإبادة من قانون الأمم والدفاع عن الأمم، يمكن أن تتحقق بواسطة الميليشيات المنضبطة وبمساعدة تحالفات سياسية جيدة، وهذا سيكون كافياً لضمان استقلالها.

كجندي يفضل الحرب النبيلة والصالحة على الاغتيال المنظم، وإذا كان من الضروري أن أختار، فأنا أقر بأني انحاز لصالح الحروب القديمة الصالحة، حيث كان الحرس الانكليزي والفرنسي يدعون بعضهم البعض بأدب لإطلاق النار، كما في معركة "فرونتينوي"[١١٤].

[١١٣] جبال الفوج هي مجموعة من الجبال المنخفضة في شرق فرنسا، بالقرب من الحدود مع ألمانيا. وهي تمتد على طول الجانب الغربي من وادي الراين وتأخذ اتجاهاً شمالياً وشمالياً شرقياً، وبشكل عام من بلفور إلى سافرنه.
[١١٤] فرونتينوي: معركة حدثت في بلجيكا عام ١٧٤٥ بين انكلترا وفرنسا

مفضلاً هذا على الجيل الرهيب من القساوسة والنساء والأطفال بجميع أنحاء إسبانيا وهم يدبرون المكيدة لقتل الجنود المنعزلين.

الموضوع التاسع: الحروب الأهلية والحروب الدينية

عندما لا ترتبط الحروب الداخلية بصراعٍ خارجي، فهي على الأرجح ستكون نتيجة صدام في العقائد السياسية أو المذهبية الدينية. في العصور الوسطى كانت الحروب مرتبطة أكثر مع الصدام بين الأطراف الإقطاعية. الحروب الدينية من بين جميع الحروب هي الأشد بؤساً.

نستطيع تفهّم لجوء الدولة أو الحكومة إلى استخدام القوة ضد رعيتها أو مواطنيها إذا كان الغرض من ذلك القضاء على أي جماعة قد تضعف من سلطة الدولة، أمّا أن تقتل مواطنيها لتجبرهم على تلاوة صلواتهم باللغة الفرنسية أو اللاتينية، أو للاعتراف بسيادة حبر أعظم [بابا] خارجي فمن الصعب تقبّل ذلك.

لم يكن هناك ملك يُرثَى له أكثر من الملك لويس الرابع عشر، الذي ظلم الملايين من الصناع البروتستانت. تصبح الحروب الطائفية مرعبة ومريعة عندما تختلط بحروبٍ خارجية أو عندما تتحول إلى صراعات عائلية. يجب أن يكون تاريخ فرنسا في عهد العصبة درساً أبدياً للأمم والملوك. فمن الصعب تصديق أن النبلاء وأصحاب الشهامة خلال فترة حكم الملك فرنسيس الأول قد انحدروا خلال عشرين عام نحو حالة بائسة من الوحشية.

إعطاء المواعظ في مثل هذه الحروب هو أمر عبثي. هناك قاعدة واحدة يتفق عليها كل المفكرين في مثل هذه الحروب وهي: من الواجب توحيد الطرفين المتنازعين لطرد المحتلين الأجانب من البلاد، وبعد ذلك يكون الصلح بين الطرفين بمعاهدة يتم فيها الاتفاق على الأمور أو الحقوق المتنازع عليها. ومن المؤكد أن تدخُّل قوة ثالثة في نزاع ديني غرضه فقط تحقيق أطماعها ومصالحها.

قد تحاول الحكومات التدخل بحسن نية لمنع انتشار مرض سياسي تهدد مبادئه الأمن الاجتماعي، وبالرغم أن هذه المخاوف مبالغ فيها، وعادة ما تكون مجرد تبريرات للتدخل، إلاّ أنه من الممكن أن تَعتَبر الدولة أن مؤسساتها مهددة من قبل هذا التوجه السياسي. لكن في

النزاع ديني ليس الوضع كذلك؛ فيليب الثاني لم يكن لديه هدف من التدخل في علاقات التحالف الكاثوليكي أكثر من إخضاع فرنسا أو فكها منه.

الموضوع العاشر: الحروب المزدوجة وخطر خوض حربين في نفس الوقت

الحكمة الرومانية الشهيرة تدعو لعدم خوض حربين عظيمتين في نفس الوقت، وهذه الحكمة مشهورة جداً وقيّمة بما يغني عن شرحها وتوضيح المغزى منها.

قد تُجبر الدولة على خوض حرب ضد دولتين متجاورتين، إلّا أن موقفها سيكون سيء للغاية إن لم يكن معها حليف يساندها، وذلك تبعاً لأمنها الخاص وللحفاظ على التوازن السياسي. **من النادر أن يكون للدول المتحالفة ضد دولة واحدة نفس المصالح من خوض الحرب،** وأن تدخل كل تلك الدول بجميع طاقاتها ومواردها. وإذا كانت إحدى هاتين الدولتين تعمل كمساعد فقط فستكون الحرب عادية.

لويس الرابع عشر وفريدريك العظيم والإمبراطور ألكسندر ونابليون، خاضوا حروباً ضخمة ضد أوربا وهي موحدة ضدهم. عندما تحدث نزاعات كهذه نتيجة عدوان إرادي من الدولة، فهذا دليل على ارتكاب خطأ فادح من جانب الدولة التي دعتهم لمثل هذه الحرب، ولكن إذا نشبت الحرب نتيجة ظروف قاهرة حاكمة لا مفر منها، فيجب مقابلة هذا الوضع بالبحث عن التحالفات أو دول معارضة لمثل هذا العدوان، وبذلك ينشأ توازناً بين أطراف الصراع.

التحالف الكبير الذي تشكّل ضد لويس الرابع عشر اتخذ من تدخله في الشأن الداخلي الإسباني ذريعةً للتحالف ضده. إلّا أنّ السبب الحقيقي كان نتيجة لأعماله العدوانية السابقة التي نبّهت الدول المجاورة من خطره. من بين القوات الأوروبية المتحالفة ضد لويس الرابع عشر التي كان يستطيع مواجهتها فقط هي الحلف المخلص لناخب بافاريا، والقائد المتخبط دوق سافوي الذي سارع بالانضمام إلى أعدائه. استطاع فريدريك الاستمرار في حرب ضد أقوى ثلاثة ممالك في أوروبا، والذي ساعده في الاستمرار هو دعم إنكلترا، إضافة إلى خمسين ألف جندي من ستة دول حليفة له. **إلّا أن أقوى حليف له كان انقسام وغباء أعدائه.**

هاتين الحربين والحرب التي خاضها الإسكندر عام ١٨١٢ كان من المستحيل تجنبها. فرنسا جعلت أوروبا تقف على أناملها عام ١٧٩٣، نتيجة الاستفزازات المتكررة من قبل نادي العاقبة، والأفكار الإنسانية للجيروندبين، التي تفاخرت أنها بدعم من أساطيل إنكلترا سيتحدّون جميع ملوك العالم. نتيجة هذه الحسابات الحمقاء انتفضت أوربا ضد فرنسا انتفاضة مرعبة، نجت منها فرنسا بأعجوبة.

يعتبر نابليون إلى حد ما الحاكم الوحيد المعاصر الذي خاض بإرادته حربين أو ثلاثة حروب كبيرة في نفس الوقت، وكانت حروبه ضد إسبانيا وإنكلترا وروسيا. في حربه مع روسيا توقّع مساعدة من النمسا وبروسيا، ناهيك عن تركيا والسويد التي اعتمد عليهما بشدة، لذلك فإن نابليون لم يكن يرى أنه كان مجازفاً أو متهوراً في مشروعه.

من الملاحظ أن هناك فرق كبير بين حرب تشن على دولة واحدة تساندها دولة ثالثة بدور مساعد، وبين حرب تشن ضد دولتين عظيمتين، وفي جهتين مختلفتين وتوظف كل طاقاتها ومواردها في هذه الحرب. على سبيل المثال: فإن حرب نابليون ضد النمسا وإسبانيا تساندهما إنكلترا كانت مختلفة تماماً عن الحرب ضد النمسا تساندها قوة احتياطية محدودة. تعتبر الحرب الأخيرة من الحروب العادية.

بناء على ما سبق، وبشكل عام يجب تجنب خوض حرب مزدوجة ما أمكن ذلك. وإذا حدث اعتداء من إحدى دولتين وكان سبباً لخوض حرب، فمن الحكمة تجاهل هذه الاعتداءات التي صدرت من أحدهما لحين ظهور الفرصة المناسبة للتعامل مع هذه الاعتداءات. لكن هذه القاعدة لها استثناءات، فتسلسل القوى والمناطق واحتمالية إبرام تحالف لاستعادة التوازن (إلى حد ما) في القوى بين الأطراف كلها ظروف تؤثر على دولة مهددة. الآن أنجزنا واجبنا في توثيق هذه المخاطر وتبيان وسائل تداركها.